

تراث

الجمهورية

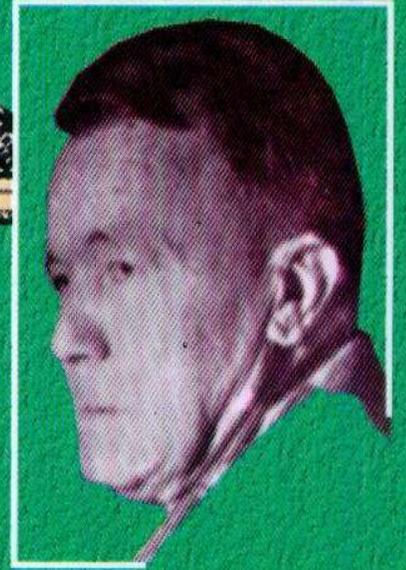
الكتاب الحادي و الخمسون

" قمم مصرية "

حفلة ختان في باريس

من حوليت

بيرم التونسي



** معرفتي **

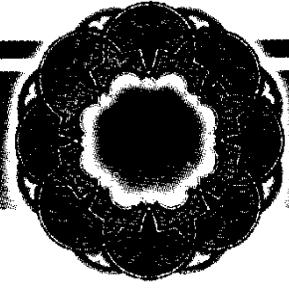
www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

- ريفية في باريس
- قاور بن غبريتا
- النصب في باريس
- .. أصله في باريس كناس

صلاح عطية

2010



مارس ٢٠١٠

الكتاب الحادي والخمسون

« قلم مصرية »

من حواديت

« بيرم التونسي »

حفلة ختانا في باريس

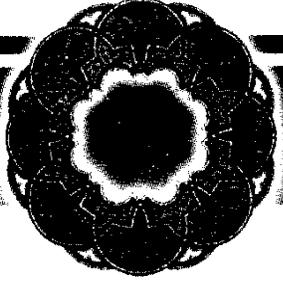
- ريفية في باريس
- قلادور بن غبريت
- النصب في باريس
- .. أصله في باريس كناس

صلاح عطية

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٧٩٠٦

الترقيم الدولي : 8-723-236-977 I.S.B.N

طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة



تراث الجمهورية

سلسلة تأسست في يناير ٢٠٠٦

يصدر عن

مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر

« دار الجمهورية للصحافة »

رئيس مجلس الإدارة

على هاشم

الإعداد والإشراف العام

صلاح عطية

تصميم الغلاف : الفنان مصطفى كامل

تنفيذ الكتاب : ميرفت محمد حسن

١١١ - ١١٥ شارع رمسيس - القاهرة تليفون ٢٥٧٨١٠١٠ - ٢٥٧٨٣٣٣٣

فاكس ٢٥٧٨١٧١٧ - ٢٥٧٨١٥٥٥ www.eltahrir.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فى هذا الكتاب من سلسلة «تراث الجمهورية» نتناول حياة وتراث واحد من عمالقة هذا الوطن الذين أثروا حياة مصر وأمتها العربية بأعمالهم التى خلدهم وأبقت سيرتهم حية متجددة، ونموذجاً لأجيال كان عطاؤها ومازال ينير الطريق لكل الأجيال التى تلتها، وستظل كذلك، نبعا يفيض ولا يتوقف فيضه، ويتجدد عطاؤه كلما تجددت الأجيال، وارتوت بأعمال هؤلاء العمالقة على مر الزمان.



وقد كنت أحد الذين شرفوا بمعاصرة الكثيرين من القمم المصرية.. والالتقاء بهم.. والكتابة عنهم.. وعلى رأس هؤلاء كل من : د. طه حسين - توفيق الحكيم - عباس محمود العقاد - عزيز أباظه - نجيب محفوظ - على أحمد باكثير - بيرم التونسي - د. عبد الحميد يونس - د. سهير القلماوى - د. عائشة عبد الرحمن - د. أمين الخولى - يحيى حقى - د. رشاد رشدى - د. محمد مندور - د. لويس عوض - أحمد رامى - كامل الشناوى - يوسف السباعى - محمد التهامى - د. أحمد بدوى - زكى المهندس - نعمان عاشور - سعد الدين وهبة - يوسف إدريس - عبد المنعم الصاوى - عبد الرحمن صدقى - د. على الراعى - جاذبية صدقى - صلاح عبد الصبور - عبد الرحمن الشرقاوى - محمود حسن

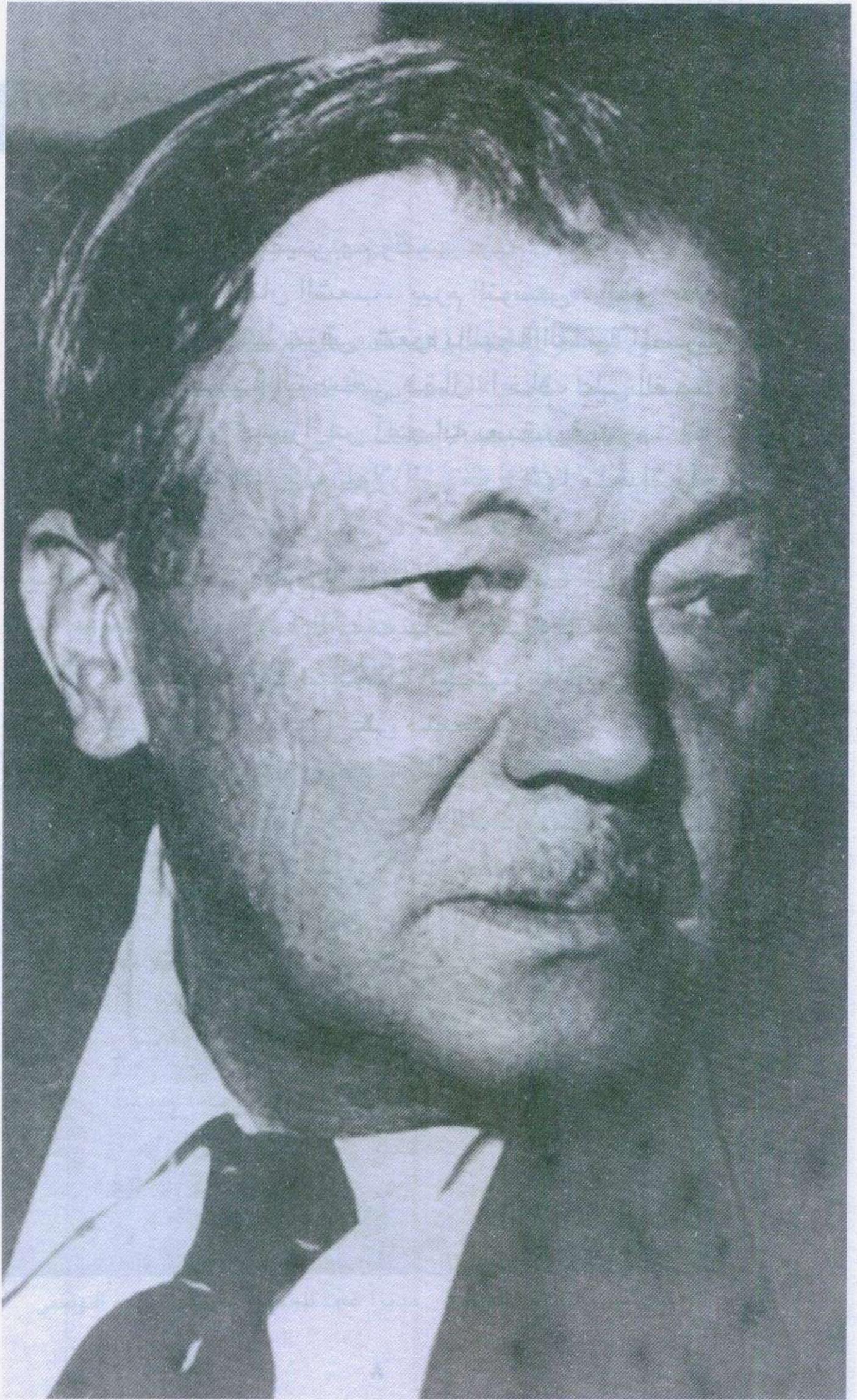
اسماعيل - بديع خيرى - د.أحمد هيكل - أحمد حسن
الباقورى - أحمد رشدى صالح - أحمد عباس صالح -
ألفريد فرج - صلاح جاهين - ثروت أباظة - أم كلثوم -
محمد عبدالوهاب - عبدالحليم حافظ - فريد الأطرش -
صالح عبدالحى - زكريا أحمد - رياض السنباطى - محمد
القصبجى - أحمد صدقى - يوسف وهبى - السيد بدير -
فاتن حمامة - أمينة رزق - صلاح أبوسيف - محمد كريم -
أحمد بدرخان... ولا تنتهى قائمة القمم المصرية- التى
أوردت بعض أسمائها بغير ترتيب- والذين يزينون تاريخ
هذا الوطن وتراثه فى الأدب والفكر والفن والثقافة.



وقد أسعدنى الحظ أيضا بأن أخصص السنوات الأخيرة
الماضية للفوص فى تراث «الجمهورية» منذ صدر عددها
الأول فى ٧ ديسمبر ١٩٥٣.. وأن أتابع على صفحاتها ما
حفلت به من أخبار هذه القمم وأعمالها.. ثم أن أنتقى منها
ما أعيد تقديمه للقارىء العزيز الذى لم يعاصر تلك الفترة،
أو عاصرها ويجد فيما تقدمه انعاشا للذاكرة وإحياء لفترة
من حياته.. ويسعده أن يسترجع أحداثها.. وأشخاصها.



وقد رأيت مع شهر مارس أن أنتقى من هذا الفيض
الكبير من القمم المصرية، قمة يرتبط مولدها بهذا الشهر..
ويرتبط تراثها «بالجمهورية».. وأن يكون أيضا ممن



بيرم التونسي

عاصرتهم والتقيت بهم وكتبت عنهم.. فكان الاختيار لشاعر الشعب.. وفنان الشعب.. بيرم التونسي.. الذي اعتبر أمير الشعراء أحمد شوقي، شعره باللهجة العامية المصرية خطرا على العربية الفصحى فقال «أخاف على الفصحى من شوقي».. تعبيرا عن إعجابه بعبقرية بيرم.. الذي تربي وتخرج في مدرسته - ولا زال يتخرج فيها - أجيال وأجيال.



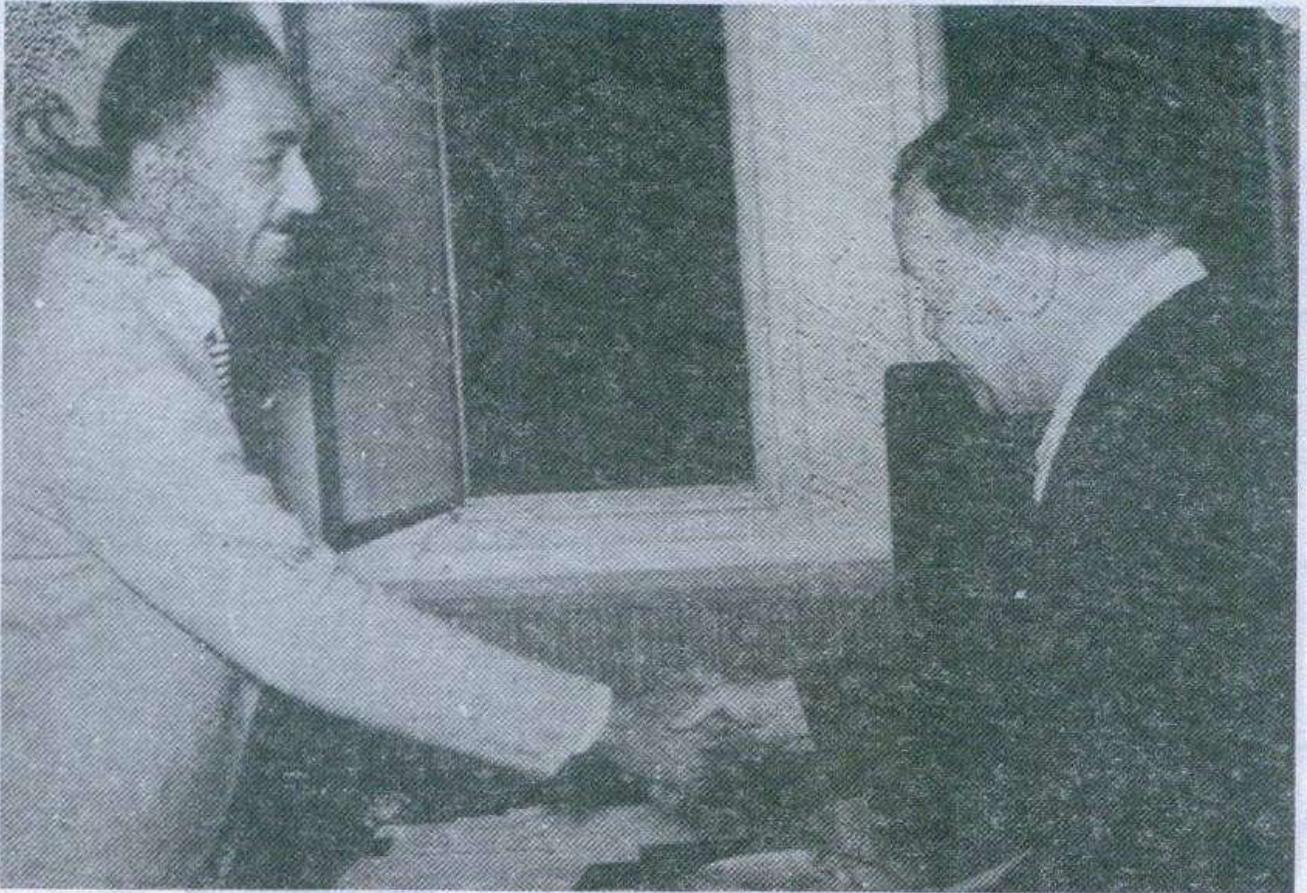
وقد كان بيرم التونسي أحد كتاب جيل العمالقة في «الجمهورية» منذ الخمسينيات وحتى وفاته في عام ١٩٦١. وقد امتلأت صفحات الجمهورية بأزجاله.. ثم ازدانت بيومياته الأسبوعية على صفحاتها الأخيرة.. وأضاف إليها أيضا «حواديته».. ومعها «مقاماته».

ولاتتسع صفحات هذا الكتاب لعشرات المئات من الأزجال التي نشرها بيرم على صفحات الجمهورية.. وربما عدنا في قادم السنوات - إن كان في العمر بقية - إلى تقديم جانب منها بعد تصنيفه وتبويبه.. ولكننا آثرنا أن نبدأ هذا الكتاب الأول في هذه السلسلة، عن بيرم التونسي بلمحة عن تاريخه.. ثم نتبعها بواحدة من يومياته.. ثم نشرع في تقديم «حواديته» التي لاتتسع لها صفحات كتاب واحد.. ونأمل أن نتابعها في أكثر من كتاب، ونتابع مع كل كتاب جانبا آخر من حياة بيرم التونسي.



وقد أتيج أن أرى بيرم التونسي.. ولكني لم أراه في مبنى
«الجمهورية».

ففي أواخر الخمسينات كنت في مطلع حياتي الصحفية،
صحفياً «تحت التمرين» أغطي أخبار الإذاعة بين
اختصاصات عدة أسندت إلي في هذه السن المبكرة..
وبحكم هذه التغطية وترددى على مبنى الإذاعة الشهير في
شارع الشريفيين.. أتيج لي أن أرى الكثير من الفنانين
والأدباء والمشاهير في ذلك الزمان ممن كانت رؤيتهم في
ذلك الوقت حلماً للكثيرين. وكان من بين من التقيت بهم في
هذه الفترة وتابعت كذلك أخبارهم، شاعرنا الشعبي الكبير
بيرم التونسي.



الرئيس أنور السادات عندما كان مديراً عاماً للجمهورية يصادف بيرم التونسي

كنت ألقاه أحيانا فى مبنى الإذاعة نفسها إما مترددا على بعض مكاتبها، ومن بينها مكتب الفنان الراحل محمد حسن الشجاعى، أو الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل أو الإذاعى الراحل محمد محمود شعبان (بابا شارو).. وكنت إلى جانب هذا ألقاه أحيانا فى انصرافى من الإذاعة فى شارع الشريفين متوجها إلى ميدان باب اللوق، جالسا على مقهى اللواء مع كوكبة أخرى من الأدباء والفنانين والإذاعيين، مازلت أذكر منهم الراحل العزيز عثمان أباطة.

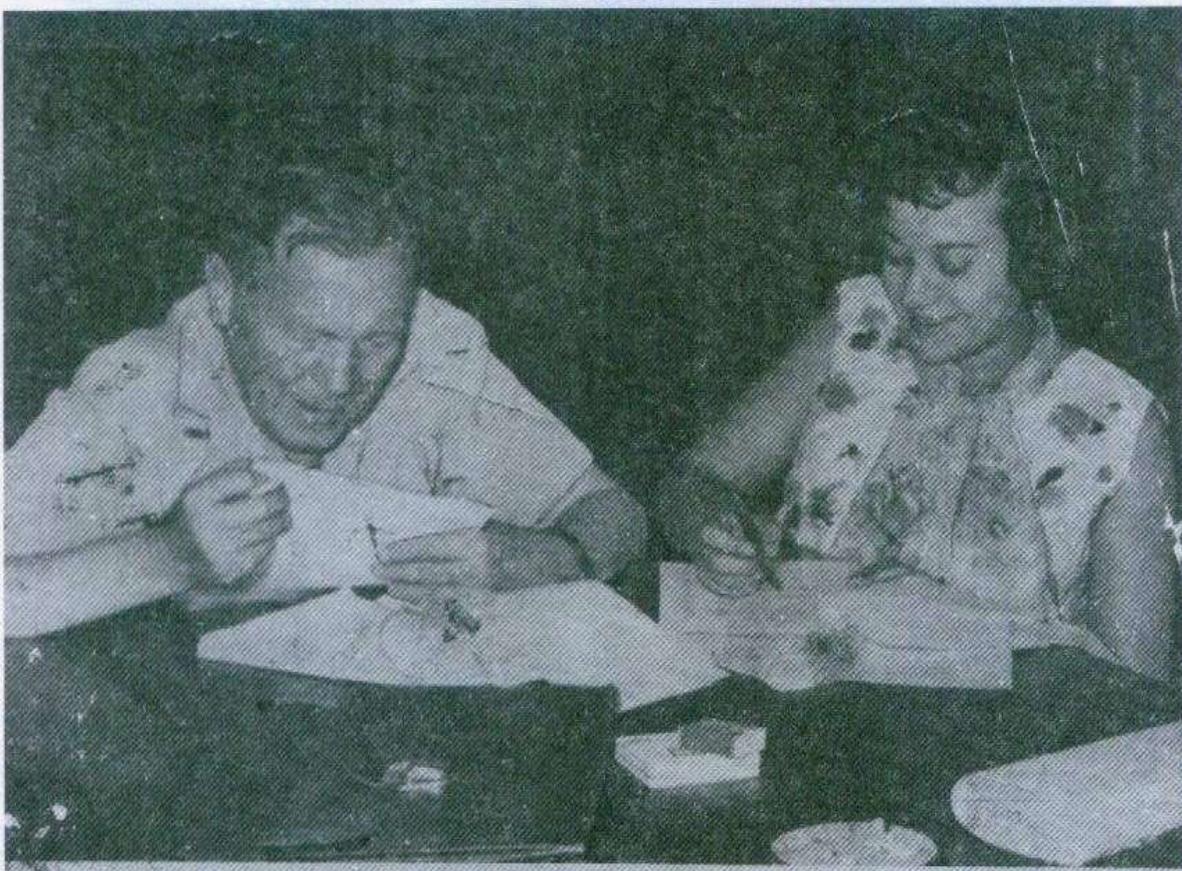


هكذا تجمعت فى ذاكرتى صور هذا الشاعر العظيم الذى كان قد انضم إلى «الجمهورية» واحدا من كتابها وشعرائها فى مطلع الخمسينات، ولم أكن بعد قد بدأت حياتى الصحفية، ولم أكن كذلك قد انضممت إلى «الجمهورية» التى جئت إليها بعد ذلك فى نهاية عام ١٩٥٨ نقلا من «جريدة الشعب» مع إخوة أعزاء أطلال الله فى حياتهم، هم الزملاء الأعزاء عبداللطيف فايد ومحفوظ الأنصارى وناهد المنشاوى.. وكنا جميعاً أبناء جيل واحد: «صحفيون تحت التميرين».. وكان معنا أيضا إخوة أعزاء انتقلوا إلى رحاب الله فى سنوات مختلفة بينهم أحمد نوار، ومنصور نسيم، وعبدالوهاب دنيا.

ومن الغريب أنى عندما انضممت إلى «الجمهورية» فى أواخر الخمسينات لم أكن أرى بيرم التونسى أبدا فى مبنائها على كثرة من كنت أراهم من الأدباء والمفكرين

والكتاب ممن عملوا فيها، أو كانوا يكتبون فيها أو حتى يزورونها.. وكانت كل لقاءاتي مع بيرم التونسي محصورة في مبنى الإذاعة والطريق منها أو إليها، ومقهى اللواء.. القريب من الإذاعة، والتي كانت فيما يبدو محطة في طريقة من وإلى الإذاعة بخلاف مقهاه المفضل في شارع السد البراني في حي السيدة زينب.

وقد وعت ذاكرتي صور بيرم التونسي، وهو يمشى بتؤدة بقامته القصيرة أو المتوسطة وممسكا بيديه أوراقه.. وكصحفي في أول درجات السلم الصحفي - وأيضا تحت التميرين - لم تكن علاقتنا تتعدى معرفة بعض الأخبار التي



بيرم التونسي مع الفنانة إحسان القلعاوي يراجعان حلقات الظاهر بيبيرس في الإذاعة

كنت أعتقد أنها تصلح للنشر، ومتابعة بعض الأعمال التي يقدمها هو، أو غيره من الكتاب والفنانين للإذاعة.



هكذا.. مع الكتاب الحادى والخمسين (مارس ٢٠١٠)،
والذى نبدأ به سلسلة فرعية مع «قمم مصرية»، إختارنا أن
نبدأ مع بيرم التونسى الذى ولد فى مطلع هذا الشهر فى
مدينة الإسكندرية، فى يوم ٣ مارس ١٨٩٣ بعد ١١ عاماً من
«ضرب الإسكندرية» بالأسطول البريطانى فى ١١ يوليو
١٨٨٢ وبداية الاحتلال الإنجليزى لمصر.. لينشأ بيرم فى
ظل هذا الاحتلال الذى عانى منه بعد ذلك نفيًا وتشريدًا..
وتكون قد مرت بذلك على مولده ١١٧ عاماً.. كما أنه قد
مرت على وفاته فى ٥ يناير ١٩٦١ أكثر من ٤٩ عاماً..
ويكون بيرم قد عاش نحو ٦٨ عاماً.



بداية.. نشير تساؤلاً.. يتحدث به الكثيرون :

هل كان بيرم التونسى تونسيا أم مصرياً؟..

الإجابة على هذا السؤال : هو بالقطع كان مصرياً من
أظافر قدميه إلى شعر رأسه.. كان مصرياً «حتى النخاع»..
الجدور كانت تونسية.. بهجرة جده إلى مصر فى مطلع
القرن التاسع عشر.. وبالتحديد فى عام ١٨٢٣.. أيام
محمد على باشا.. ولكن بيرم التونسى كان مصرى المولد..
مصرى الأم.. بل مصرى الأب أيضاً.. فأبوه مصرى بمولده

على أرض مصر.. ثم بزواجه من مصرية أنجب منها بيرم..
أو محمود بيرم التونسي.

ماهى حكاية التونسي إذن؟.. هى قصة ما عرف فى أيام
الاحتلال «بالحماية».. كانت الحماية تفرض على ذوى
الجنسيات الأجنبية.. فلا تستطيع السلطات أن تفعل لهم
شيئاً لأنهم «حماية».. وقد صارت كلمة «حماية» هذه، هى
إحدى الكلمات الدارجة فى التراث الشعبى.. عندما
يصطدم إثنان أو أكثر فيسأل أحدهما الآخر مستكراً فعله :
«أنت حماية يعنى؟!».. أى هل تفعل هذا لأنك «حماية»



بيرم التونسي فى مبنى الإذاعة مستريحاً فى الفترة بين التسجيلات

لايستطيع أحد أن يقترب منك!!

وهكذا فعلها بيرم التونسي عندما حوَصِر من الاستعمار والسلطة.. فاضطر أن يقول أنه «حماية».. أنه فرنسى.. وهى الجنسية التى كان الاستعمار الفرنسى يمنحها لكل أبناء الشمال الأفريقى من تونس حتى المغرب مرورا بالجزائر.

ولكن كل هذا لم يشفع له فيما بعد.. كما سنرى.. فما دام فرنسيا.. أو تونسيا.. فليذهب إلى فرنسا.. أو إلى تونس.. ومن ثم كان النفى والتشريد خارج مصر الذى استغرق من عمر بيرم التونسي نحو العشرين من السنوات أى أقل قليلاً من ثلث عمره.

وقبل أن نتعرض للنفى ولأسبابه.. نقول أن بيرم التونسي بسبب جذوره التونسية.. وبسبب «الحماية» هذه التى لصقت به.. ظل بلا جنسية محددة.. حتى منحة الرئيس عبدالناصر الجنسية المصرية فى مطلع ثورة يوليو.. ثم كرمه ومنحه جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٦٠.. قبل وفاته فى مطلع يناير ١٩٦١.



وعن جنسية بيرم التونسي ننقل هنا روايتين الأولى لبيرم التونسي نفسه.. والثانية لابنه.

أما الرواية الأولى فقد جاءت فى سياق حديث نشرته جريدة «السياسة» الكويتية فى يوم ٢٥ فبراير ١٩٩٤.. وهو حديث مع بيرم التونسي نفسه.. ويبدو أنه حوار أعيد نشره

بعد أكثر من ثلاثين عاما من وفاة بيرم.. أو ربما كان حوارا
اصطنعه الكاتب من معلومات استقاها من سيرته.

على أى حال : مانشرته «السياسة» الكويتية جاء تحت
عناوين :

- حوار مع الشاعر بيرم التونسي المتوفى عام ١٩٦١ -
أصدرت مجلة على غرار مجلة النديم - «الخازوق» أغلقت
بعد العدد الأول والأخير.

يقول كاتب الحوار :

يا الله.. «بيرم التونسي» الشاعر لولا حبه لوطنه ما أهدر
رأسه لفكى المقصلة، والذي أحب مصر حتى العظم.

يا الله.. «بيرم» يعود من المنفى متسللا بإحدى زوايا
الباخرة المبحرة إلى مصر، تماما مثلما الفأر؟!؟

● عرفك الجمهور ب بيرم «التونسي» هل أنت تونسي
الجنسية؟

- أبدا.. فأنا مصرى «كامل الدسم» ولكن جدى لأبى كان
تونسيا، ونزح إلى مصر منذ مائة وعشرين عاما، أى فى
عام ١٨٣٣ فى عهد محمد على الكبير، قبل بناء هذا
المسجد الذى شيده الوالى سعيد باشا بمناسبة زيارة
السلطان العثمانى عبدالعزيز! ومنذ ذلك التاريخ استوطنت
أسرتى فى مصر.

● ماذا كان يعمل والدك؟

- كان يملك مصنع نسيج، استولى عليه أبناء عمى بعد

وفاته! وأنا فى الثالثة عشرة عام ١٩٠٦ .

● كنت رائدا من رواد الصحافة بإصدارك مجلتين..
مجلتى «المسلة» و«الخازوق» فكيف سلكت هذا الطريق؟
- فى مرحلة البحث عن الذات، وقعت فى يدى مجموعة
مجلة «الأستاذ» التى كان يصدرها «عبدالله النديم» خطيب
الثورة العرابية ورائد الزجل المصرى الأول، وما أن وقعت
فى يدى هذه المجموعة، حتى التهمت كل ما كتبه فيها
التهاما.، وزادنى هذا حبا للدراسة والاطلاع، فحفظت
ألفية «ابن مالك» فى النحو، وشرح ابن عقيل، واستظهرت
عن ظهر قلب ديوان «المتنبى» وإن كنت لا أطيق أن افتح
صفحة منه الآن!

● حدثنا عن المجلتين؟

- عندما قامت الثورة فى عام ١٩١٩ وجدت الفرصة
متاحة أمامى لكى أقلد أستاذى عبدالله النديم، فسافرت
إلى القاهرة لأستخرج تصريحاً لى بإصدار مجلة على غرار
مجلة «الأستاذ» ولكن مدير المطبوعات فى ذلك الوقت كان
رجلا انجليزيا يدعى مستر «بويد» رفض منحى هذا
التصريح، وقال لى! «أنه لا توجد تصريحات لإصدار
مجلات» فقممت على الفور بإصدار «المسلة» بدون تاريخ ولا
أرقام! ولا هى جريدة ولا مجلة!!

صدر العدد الأول منها فى تاريخ ٤ مايو ١٩١٩، وأغلقت
بعد العدد الخامس عشر، وأصابنى من ورائها ما أصاب
أستاذى «النديم»!!

● ومجلة الخازوق؟

- هذه المجلة، أغلقت بعد العدد الأول منها والأخير!
لأنى نشرت زجلا لم «يستحسنه» فى ذلك الوقت محمود
فخرى باشا زوج الأميرة «فايقة» ابنة الملك فؤاد من زوجته
الأولى الأميرة «شويكار»!

● نفيت من مصر ثمانية عشر عاما.. هل كان السبب هو
استقبالك مولد الملك «فاروق» بزجل ساخر؟
- أظن!

● كيف رجعت إلى مصر؟

- لقد انتهزت فرصة وجود باخرة عائدة إلى مصر فى
عام ١٩٣٨ وتسللت إليها حيث جاءت بى إلى مدينة
بورسعيد، وهناك هتف بى هاتف يقول :

غلبت أقطع تذاكر
وشبعت يارب غربه
بين الشطوط والبواخر
ومن بلادنا.. لأوربا
فى بورسعيد السفينة
رست تفرغ، وتملا
هتف بى هاتف، وقال لى :
انزل من غير عزومه
انزل دى ساعة تجلى

فيها الشياطين في نومه!
انزل دا ربك تمسلى
فوقك، وفوق الحكومة»



أما الرواية الثانية عن جنسية بيرم التونسي فقد جاءت في حوار جرى مع ابنه محمد، ونشر في ٢١ فبراير ٢٠٠٠، وفيه قال الابن عندما سئل عن «قضية جنسية بيرم التونسي» :

- «نحن مصريون، ولكن والدي عندما هاجم المنحرفين الموالين للإنجليز قبض عليه، ووجد أنه سوف يتعرض لمحاكمة قاسية، فقال إن جنسيته فرنسية، حتى ينجو من المحاكمة ولما زال الخطر طلب إعادته للجنسية المصرية». وهي رواية ليست دقيقة تماما.



وقد تعرض بيرم للنفي والتشريد.. كما سنرى فيما بعد.. وكانت أشعاره وراء معاناته.. بداية من مقاومته الشرسة للاحتلال البريطاني إلى هجومه الشرس على فؤاد.. السلطان، ثم الملك بعد ذلك.



يقول بيرم التونسي عن الاحتلال البريطاني لمصر :
أحمدك يا من فتحت الباب علينا
بعد أزمان لما دبنا وانت ههينا
قوم بقى نصلى على طه نبينا
واتحرفه بالفل والوردة الذكوية
جالنا ضيف ساقع وبارد .. وابن جزمة
نام وتمرغ فى القماش .. والدنيا أزيمة
والضيافة بالكثير ماتكونش لازمة ..
غير ثلاث أيام .. ودى بالتلممية



وهاجم بيرم التونسي فؤاد .. فى زواج ابنته .. وأيضا فى
زواجه هو من نازلى وفى مولد فاروق مبكرا عن مواعده
الطبيعى:

ال بنت ماشيه من زمان تتم خطر
والغفلة زارعة فى الديوان قرع أخضر
تشوف حبيبها فى الجاكيته الكاكي
والستة خيل والقمشجى الملاكى
والعافية هبله والجعد بيتشطر
والوزة من قبل الفرحة مدبوحة
والعطفة من قبل النظام مفتوحة

والديك بيدن .. والهانم مسطوحه
تقرا الحوادث فى جريدة كتر
ياراكب الفيـتون وقلبك حامي
اسبق على القبـة وطير قدامى
تلقى العروسة شبه محمل شامى
وجوزها يشبه فى الشوارب عنتر
وحط زهر الفل فوقها وفوقك
وجيب لها شـشب يكون على ذوقك
ونزل النونو القـديم من طوقك
ينزل فى طـوعك
لا الولـد يتكـبر
دا ياما مـزع كل بدلة وبدلة
وياما شـمع بالقطان والفتـلة
ولما جـه الأـمر الكـريم بالدخـلة
قلنا اسـكتوا خلـو البـنات تتـسـتر



وكتب بيرم تحت عنوان :

«البامية السلطاني والقـرع المـلوكى»
البامية فى البـستان تهـز القـرون
وجنبها القـرع المـلوكى الخـفيف
والديـدبان داير يسـلم الزبـون

صهين وقدم وامتثل ياخفيف
نزل يلعلط تحت البرج القممر
ربك يبارك لك فى عممر الغلام
ياخسارة بس الشهرة مش تمام



ويقول بيرم التونسى أيضا عن مولد فاروق :

اسمع حكاية وبعدها هأها
زهر الملوك فى الولد أهو طأطأ
مالناش قرون كنا نمأمأ
وناكل البرسيم بالقرفة
سلطان بلدنا حُرمتته جابت
ولد وقال سمموه فاروق
فاروق فاروقنا بلانيلة
دى مصر مش عايزالها رذيلة
دى عيشة بالقوة وبالتيله
ومين بقى يلحس دى التففة
يا دايه لييه ما انتش حداية
خدتيه ورحتى ع الجبالاية
جبتى لنا خبره وتنك جايه
وندق لك فى الببيت الزففة
يا عزرائيل اخلص بقى تاوى

أشوف برلمانك أهأها وأقول
بمثلك صحيح ينضحك عالقول
ياريت كان بدالك زريبة عجول
إذا اللحمة بارت تدور فى الطاحون



ولد بيرم التونسي فى يوم الثالث من مارس سنة ١٨٩٣
فى الإسكندرية فى منطقة شعبية أصيلة فى حي الأنفوشى،



بيرم التونسي فى شبابه

بالسيالة الذى عاش فيه طفولته وكان مولده بعد ستين عاما من نزوح جده الى مصر عام ١٨٣٣ ليعيش مهاجرا فى الإسكندرية.

ومع الإقامة مهاجرا من تونس التصق به اسم التونسى.. كعادة المصريين فى نسبة المقيم بينهم إلى البلد الذى جاء منه، فنرى الشامى، والمغربى، والدمنهورى والطنطاوى، والبحيرى والإسكندرانى، إلى آخر هذه الصفات التى أصبحت بمرور الزمن ألقابا وأسماء لعائلات، قد تتم فى بعض الأحيان عن أصل هذه العائلات والمكان الذى انحدرت منه جذورها.

وانتقل اسم التونسى من الجد الى الإبن ثم الحفيد أما الأسم الأصيلى لبيرم فهو محمود عبدالرحمن بيرم.. وبيرم أيضا أخذت من كلمة تركية بمعنى العيد.. وقيل فى ذلك أن مولده كان فى العيد فأطلقت كلمة بيرم على المولود.. وهكذا أصبح اسم شاعرنا أو شهرته محمود بيرم التونسى.



وشهد كتاب الشيخ جاد الله بالأنفوشى البدايات الأولى لبيرم التونسى.. ولكن عنف الشيخ فى تعامله مع تلاميذه جعله يكره هذا الكتاب وشيخه، فانتقل به والده بعد فترة أمضاها فى العمل فى دكانه، إلى المعهد الدينى فى مسجد أبى العباس المرسى.

ولم تدم الحياة هائلة فقد انتزع الموت أباه وهو بعد فى

الثالثة عشرة من عمره، فاضطر إلى ترك المعهد الدينى والعمل فى دكان أبيه فى التجارة التى توارثتها الأسرة.. تجارة الحرير.. ولكن الوفاة أطاحت بكل شىء.. فقد ادعى أبناء عمومته أن أباه باع لهم دكانه قبل وفاته.. ولأنه أصبح المسئول عن أمه.. فقد اضطر للعمل فى محل بقالة.. ثم اضطرت الأم للزواج وهو فى السابعة عشرة من عمره.. ولكنها غادرت الحياة بعد ذلك بوقت قصير.

وتمضى به رحلة الحياة فيشترك فى محل بقالة مع أحد جيرانه من الصيادين.. ويتزوج بيرم.. وتضطرب حياته أكثر فيفلس محله.. فيبيع البيت الذى تركته له أمه.. ويدخل فى مشروع جديد لتجارة السمن هذه المرة.. ولكنه يعانى من الضرائب التى فرضها عليه المجلس البلدى فى الإسكندرية.. الذى يحجز عليه وعلى بيته.. فتكون قصيدته الأولى وبالفصحى.. التى حفظها الناس ورددوها.. عن «المجلس البلدى».



ولم يقفز بيرم هكذا دفعة واحدة إلى هذه القصيدة.. فالمحنة التى عاشها، أبدعت هذه القصيدة.. ولكنه كان قبل ذلك قد نهل من كل ما وقع فى يديه.. كان فى محل البقالة صبيا يقرأ كل ما يقع بين يديه من أوراق وكتب تأتى ليبيع فى أوراقها بضاعته.. وكان فى محله عندما شارك أحد

الصيادين، ينفق ماله ووقته فى شراء الكتب وقراءتها..
وأفلس المحل.. وكان وهو صغير فى المعهد الدينى يقرأ كل
ما يستطيع أن يشتريه.. ثم تعددت قراءاته.. يقرأ ألف ليلة
وليلة.. ويقرأ عن «أبوزيد الهلالى».. ويقرأ أشعار ابن
الرومى.. ويعجب به.. ويرى شعره من أحسن ما قرأ من
الشعر.. رغم أن حافظته اتسعت بعد ذلك لنحو ثلاثين ألف
بيت من الشعر.. ولم يكن يكتفى بالقراءة.. بل كان يسمع..
ويختلف الى الموالد ليستمع المواويل.. ويجلس إلى أحد
البنائين فيسمع منه فيضا من المواويل والأدوار التى فاض
بها التراث والموروث الشعبى القديم.



هكذا كان بيرم قارئاً نهما.. ومستمعا جيدا.. وهاضما
لتراث شعبى.. وتراث أدبى.. ومخالطاً لطبقات شعبية
عاش حياتها.. وفهم أطوارها.. وأصبح واحدا منها.. معبرا
عنها.. يختزن رحيقها.. ثم يطلقه أشعارا صادقة.. وصورا
نابضة بالحياة.

وكانت قصيدة المجلس البلدى هى تدشين لموهبة فرضت
نفسها على كل لسان.. وحفظها الناس ورددوها بإعجاب
كبير.. فقد رأوا فيها تنفيسا عن الضغط والكبت والظلم
الذى يعيشونه.. ليس من المجلس البلدى فحسب.. وإنما من
السلطة والاحتلال الإنجليزى بشكل عام.. فقد كان المجلس

البلدى الذى فرض الضرائب الباهظة فى الإسكندرية.
معبرا عن سلطة الاحتلال، وسلطة الإدارة التى قد يعمل بها
مصريون، ولكن يسيطر عليها ويديرها الاحتلال.



فى قصيدته «المجلس البلدى».. يقول بيرم التونسى :
قد أوقع القلب فى الأشجان والكمد
هوى حبيب يسمى المجلس البلدى
أمشى وأكتم أنفاسى مخافة أن
يعدها عامل للمجلس البلدى
ما شرد النوم عن جفنى القريح سوى
طيف الخيال.. خيال المجلس البلدى
إذا الرغيف أتى، فالنصف آكله
والنصف أتركه للمجلس البلدى
وإن جلست فجيبى لست أتركه
خوف اللصوص وخوف المجلس البلدى
وما كسوت عيالى فى الشتاء ولا
فى الصيف إلا كسوت المجلس البلدى
كأن أمى بل الله تربتها
أوصت فقالت : أخوك المجلس البلدى
أخشى الزواج إذا يوم الزفاف أتى
أن ينبرى لعروسى المجلس البلدى

وربما وهب الرحمن لى ولداً
فى بطنها يدعيه المجلس البلدى
وان أقمت صلاتى قلت مفتتحا
الله أكبر باسم المجلس البلدى
أستغفر الله حتى فى الصلاة غدت
عبادتى نصفها للمجلس البلدى
يا بائع الفجل بالمليم واحدة
كم للعيال وكم للمجلس البلدى



وكانت الشهرة التى حققها بيرم التونسى من قصيدته
المجلس البلدى دافعا إلى إصدار مجلته الأولى «المسلة» فى
عام ١٩١٩ .. والتى أصدر منها ١٣ عددا .. ثم أغلقتها
السلطة لنقده العنيف لها وللاحتلال .. كان يكتبها من أول
صفحة إلى آخر صفحة وينتقد فيها كل شىء .. فلما ضاقت
به السلطة .. وضاق به الاحتلال أوقفوها .. ولكن بيرم لم
يتوقف .. فأصدر مجلة أخرى أسماها «الخازوق» .. ولم يتح
له أن يصدر منها غير عدد واحد فقط .. فقد هاجم فى
هذا العدد اليتيم زوج الأميرة فوقية ابنة الملك فؤاد .. أو
السلطان فؤاد، حيث لم يكن قد أصبح ملكا بعد .. فكان
قرار الإغلاق .. ونفيه إلى تونس.



وفى تونس لم يطق بيرم العيش فى بلد لم يعرف عنه شيئاً.. وقيل له، أنه بلده.. لقد ولد فى مصر.. وولد أبوه فى مصر.. وأمه من مصر.. وجده خرج مهاجرا من تونس قبل ٦٠ عاما من مولده.. وخروجه من تونس كان ضيقا بأهله الذين جحدوه.. وأنكروه.. ثم جاء الدور على الحفيد.. ليجد نفس الجحود والنكران.



يقول بيرم التونسى عن نفسه عندما نفى إلى تونس :
الأوله آه .. والثانية آه .. والثالثة آه ..
الأوله : مصر.. قالوا تونسى ونفونى..
والثانية : تونس وفيها الأهل جحدونى
والثالثة : باريس .. وفى باريس جهلونى
الأوله : مصر.. قالوا تونسى ونفونى جزاة الخير
والثانية : تونس.. وفيها الأهل جحدونى وحتى الغير
والثالثة : باريس.. وفى باريس جهلونى ونا موليير
الأوله : مصر.. قالوا تونسى ونفونى جزاة الخير واحسانى
والثانية : تونس.. وفيها الأهل جحدونى وحتى الغير ما صافانى
والثالثة : باريس.. وفى باريس جهلونى ونا موليير فى زمانى
الأوله : شريتتى من فراقها كأس.. بمرارة
والثانية : آه فرجتتى على الجمال ينداس.. ياخسارة
والثالثة : يا ناس يا ريتتى كان لى فيها ناس.. وإدارة

الأوله : آه.. والثانية آه.. والثالثة آه
الأوله : اشتكيها للى أجرى النيل
والثانية : دمعى عليها غرق الباستيل
والثالثة : لطشت فيها ممتثل وذليل
الأوله : آه.. والثانية آه.. والثالثة آه..



هكذا بعد فترة انتقل بيرم المنفى إلى تونس، إلى فرنسا.. ضاق بيرم بما لقيه فى تونس.. وعاش مع الاستعمار الفرنسى وإذلاله.. فغادرها إلى فرنسا ليستقر به المطاف حَمالاً فى ميناء مرسيليا.. ويمضى بها فترة عامين.. يعيش فيها حياة المنفى.. وتشتد به المعاناة.. قبل أن يتمكن من تزوير جواز سفر يتسلل به إلى مصر.. ويعاود الكرة مرة أخرى وتنتشر أزجاله من جديد.. نارا تحرق الاستعمار والسلطة.. فينتفضان فى أثره.. حتى يقع فى أيديهما.. ويكون النفى هذه المرة أيضا إلى فرنسا.



مع قسوة الحياة فى المنفى.. لاينقطع بيرم عن كتابة أزجاله.. معبرا عن وطنه مصر.. ومعاناة شعبها.. وفساد السلطة وقهر الاستعمار.. ويمرض بيرم فى فرنسا مرضا يلزمه باقى حياته فقد عمل فى شركة للصناعات الكيمائية.. أدى عمله فيها إلى اصابته بمرض يؤدي إلى

فصله .. فساعات ظروفه .. وعاش حياة بائسة .. قاسية .



واستمرارا لمسلسل المنفى .. يقع بيرم فى أيدى السلطات الفرنسية التى كانت تقوم بحملة لطرده الأجنب .. فتقوم فى عام ١٩٣٢ بترحيله إلى تونس .. فيعاود نشر صحيفة الشباب .. ثم يحاول الاقتراب من مصر فينتقل بين لبنان وسوريا .. حتى يقع مرة أخرى فى يد السلطات الفرنسية التى تقرر نفيه إلى إحدى الدول الإفريقية، بعد أن أزعجتها أزجاله الساخرة والعنيفة .



وتتجه السفينة التى تحمل بيرم إلى قناة السويس .. تصل إلى بورسعيد .. وبيرم يتأمل أرض وطنه من بعيد باكيا .. فيلفت بكاءه نظر أحد ركاب الباخرة .. فيعرف قصته .. ويعرض عليه مساعدته فى النزول إلى بورسعيد والهرب من الباخرة .. فتكون هذه بداية العودة إلى مصر .. ونهاية سنوات المنفى التى تتصادف مع بداية حكم الملك فاروق، الذى يقبل التماسه .. ويعفو عنه .. لتتصل حياة بيرم بعد ذلك على أرض وطنه مصر .



ويروى بيرم التونسى قصة هروبه وعودته إلى مصر بعد رحلة طويلة فى المنفى .. بعد أن وصلت الباخرة به إلى

بورسعيد .. ونظر إلى المدينة والدموع فى عينيه .. فيقول :
«لمحت أحد المنبوطية فقلت له : «الواحد يقدر يتفسح؟»
وفهم قصدى بسرعة .. وقال أمشى ورايا .
وقبلت تراب بورسعيد عندما دست عليه .. وأعطيت
المنبوطى ٦٠ قرشا .. ثم جريت إلى المحطة .. وركبت القطار
ووصلت القاهرة مع بوادى عتمة المساء، بعد ٢٠ عاما فى
المنفى .

وأذاع راديو القاهرة نبأ هروبى من الباخرة .. كنت لا
أغادر البيت إلا فى المساء لأجلس على مقاهى شارع عماد
الدين .. لم يكن أحد يعرفنى، ما عدا بائع اليانصيب .. وكان
يعترضنى كل مساء ويقول لى تاخذ ورقة ياخو اجا .
وانكشف أمرى .. وكتبت الصحف تطالب بالعضو عنى ..
وأصدر أحمد حسنين باشا فى ذلك الوقت قرارا للبوليس
بعدم التعرض لى .



وانطلق بيرم التونسى يثرى الحياة الفنية والسياسية
بأشعاره وأزجاله .. مضت مرحلة العذاب والنفى .. وبدأ
مرحلة جديدة من الانطلاق ليكتب فى عديد من المجالات ..
فى الصحف والمجلات .. للإذاعة .. والسينما .. والمسرح ..
تتشر أزجاله فى صحف متعددة .. فى «المصرى» .. فى
«أخبار اليوم» .. ثم فى «الجمهورية» بعد أن انضم إليها فى

مطلع الخمسينيات.. يبتدع الفوازير في الجمهورية.. وفي الإذاعة.. وتغنى له أم كلثوم.. وعبد الوهاب.. وفريد الأطرش.. غنت له أم كلثوم نحو عشرين أغنية.. لعل أشهرها شمس الأصيل، والأمل، وأنا في انتظارك، والحب كده، وهو صحيح الهوى غلاب، ورائعته الدينية: «القلب يعشق كل جميل».

وقبل هذه القمم غنى له مطرب الشعب الشيخ سيد درويش الكثير من كلماته: «اليوم يومكم يا جنود».. و«ضيعة مستقبل حياتي».. و«أنا المصري كريم العنصرين»..



أم كلثوم مع بيرم التونسي

مين اللى مات ياشب يابو دمـوع
قالت عروس الشعر للمـوجوع
مين اللى مات ياشب. قل لى يا خـويا
قالت عروس الشعر ليكون أبويا..
أنا قلت أبونا كلنا يا صـبـيـة
وجنازته ماشية أهه فى شارع السـد
والنعش عايم فى الدمـوع فى عـيـنيا



فايت فى قلب القاهرة ومـعدى
هو عازفها وهى مش عازفاه
على كل حارة وكل عطفة يهدى
كأنه راجع لسه من منـفـاه
بيبوس بعينه اللبـدة والجلابية



فى حفل تأبين بيرم التونسي : من اليمين هدى حبيشة، أحمد رشدى صالح،
د. عبدالحميد يونس، د. رشاد رشدى، صلاح جاهين

ده القبر ده .. والا كمان منفي
طالع عليه الشوك والحلفا
ده القبر ده .. والا كمان تبعية
حدفوه عليها كلمتين فى قصيدة



وقبل أن يكتمل الأسبوع الأول على وفاة بيرم، كانت أعمدة
الصحف تفيض بالكتابات الرثاء من عمالقة الأدب والفكر
لشاعر الشعب.. ونختار فى هذا الكتاب ما كتبه عملاق
الفكر والأدب العربى عباس محمود العقاد، وما كتبه الشاعر
الكبير كامل الشناوى.



كتب عباس محمود العقاد فى يومياته فى جريدة «الأخبار»
فى يوم الخميس ١١ يناير ١٩٦١ عن بيرم التونسي تحت
عنوان : «العبرى الذى فقده العالم العربى».. يقول :

كان عبقرى - بلا مرء - ذلك الفنان الموهوب الذى فقده
العالم العربى اليوم بكل ما ينطق به اللسان العربى من كلم
مكتوب أو كلم يجرى على الألسنة، على اختلاف لهجاتها من
أقصى ديارها الى أقصاها.

وكانت آية الآيات فى «بيرم التونسي» رحمه الله أنه كان
يفهم السريرة الناطقة بالعربية من بواطنها الخفية قبل أن
يحكيها بلهجاتها الكثيرة على الألسنة أو على الأقلام.

فكان من طرائفه المحبوبة حيث يأنس الى أصدقائه

والمعجبين به، أن يلقي عليهم حوارا يشترك في أحاديثه خمسة أو ستة من أبناء البادية والحاضرة، يتحدث كل منهم بلهجته الموروثة ويتغنى أحيانا بنغماته التي توافق تلك اللهجة، وينتقل من سؤال إلى جواب ومن تعبير إلى تعليق ومن جد إلى فكاهة، كأنه جماعة من الناس يوشك أن تتعدد أصواتهم كما تتعدد أساليبهم في الكلام وفي أنماط الحديث والغناء.

لم يكن ذلك كله من قبيل المحاكاة أو الإعادة (الآلية) التي يستطيعها الكثيرون، وإنما كان خلقا للشخصية المتكلمة وللعواطف والأحاسيس التي تكمن وراء الكلمات.

ومن تمام قدرته على الخلق والإبداع في هذه الملكة الفنية أنه نشأ رحمه الله في بيئة تونسية عريقة، وبقي إلى ما بعد العشرين من عمره يتحدث على السجية، فيذهب لسانه على غير قصد منه إلى نبرات تلك اللهجة ومصطلحاتها، ولقيناها وهو في نحو الخامسة والعشرين يمزج في حديثه بين اللهجة الاسكندرية واللهجة التونسية، وتبدر منه العبارة المغربية سهوا فيلحقها بلوازمها عمدا، ليقطع على المستمع إليه سبيل التقليد والدعابة.. فمن ملكات السليقة المطبوعة حقا أنه يقتدر بإرادته - بعد أن قارب الثلاثين - على إبداع أدوار الحوار بكل لهجة ينطق بها اللسان العربي من ساحل الأطلسي إلى شط العرب، وما يليها من أطراف وأنحاء. ولم يكن ولعه باللهجات الدارجة عن قصور منه في التعبير باللغة الفصحى شعرا ونثرا حين يشاء، فان منظوماته العربية طبقة من الشعر تسلكه بين النخبة المجيدين من شعراء عصره،

وسمعنا باسمه لأول مرة فى الاسكندرية فكان أول ما سمعناه
له قصيدته الظريفة التى حمل بها على المجلس البلدى قبل
نصف قرن وقال فيها من أبيات مطولة :

يا بائع الفـجل بالمليم واحـدة
كم للعـيال وكم للمـجلس البلدى
كـأن أمى بل الله تربتـها
أوصت وقـالت أخـوك المجلس البلدى

وقد سمعنا له بعد ذلك شعرا «جديا» على هذا النسق من
الفصاحة وحسن الأداء، وشعرا فكاهيا يحكى به بعض الشعراء
ومنهم زميلنا عبدالرحمن شكرى قائلًا على لسانه :

شـمـرنا عـبـة قـرية
كـجـنـين المـزامـر
مـوج بـحـر عـبـابه
كـعـباب العـسـاكر

ومنهم زميلنا المازنى قائلًا على لسانيه ومحاكيا له يتفخم
ألفاظه ومعانيه :

تذوب خـروق الدهر فى مـصنـع الدجى
كـمـا ذاب لون الثلج والثلج ذائب

ومنهم كاتب هذه السطور وقد قال سامحه الله على لسانه :
لا يـفـرنـك أـمـير أن وزير
كل من تلقاه - والله - حـمـير

وكل شعره الجدى والفكاهى على هذه الطبقة التى كانت تسمح له - لو أراد - أن يقصر منظوماته كلها على اللفظ العربى الفصيح، ولكنها طبيعته التى كانت تحن الى المعيشة بين أولاد البلد هى التى حبت اليه أن ينظم بلهجة الازجال ويسوق عباراته بلهجة المعيشة اليومية فى البيت والسوق.

قد كنا نحب لقاءه حيث كان يحب أن يعيش ويقضى سهراته ويختار أدواره وألحانه وموضوعاته، وانقضت سنوات كانت مراقبة الشرطة له كأنها مراقبة لكاتب هذه السطور وأصحابه، لأنه كان ينتقل فى مبيته ليلة أو ليلتين عند كل زميل من رواد المجلس : مرة عند الأخ المرح «السيد مجاهد» رحمه الله، وكان يقيم قبل نحو أربعين سنة الى جوار الجامع الأزهر ويعمل بمكاتب ادارته، ومرة عند صحفى نشيط اللسان والقدمين كان يتردد بين العمل فى الصحافة والعمل فى الشركات، وكان يستعين بفرن بيرم على نظم الازجال الشعبية لترويج أصناف شركة السماد بين أبناء الريف، ومن هذه الشركة تسلم بيرم رحمه الله أول «عشرين جنيها» قبضها دفعة واحدة فقبل أوراقها ورقة ورقة، حمدا لله على هذا الرزق الذى سبق اليه فى الخفاء.

وربما قضى ليلة بعد ليلة من ليالى الفزع والحذر على مقربة من مسكنى بالمنشية الى جوار القلعة، ويحتاج الى الشمعة التى تضىء له حجرته المهجورة فيمد يده الى نافذة ضريح على الطريق، ويختطف شمعته المضاءة وهو يلعن الغفلة والمغفلين!

ولانتسى من مروءات محمد محمود (باشا) رئيس الوزارة أنه كان يعلم أن «بيرم التونسى» كان طريد القصر بعد عودته من فرنسا، ولكنه كان يحميه على البعد، وكان يجرى على خطة عجيبة فى حمايته للرجل الذى نفى مرتين لحملاته المتلاحقة على الملك السابق احمد فؤاد وذويه، فكان يأمر الشرطة المسئولين أن «يحجزوا» كل من يبلغ عن طريدهم هذا ولا يتركوه قبل أن يلقى رئيس الوزارة لسؤاله.. فأصبح حذر المبلغين من التبليغ أشد من حذر الطريد المطلوب.. وكنا نلقى رئيس الوزارة أحيانا فى تلك الأيام فيسألنا عما قاله بيرم فى هذا الأمر أو فى تلك القصة فنحيله إلى الشاعر الراوية الظريف «مصطفى حمام» لأنه يكاد يستظهر كل ما نشره بيرم من منظوم أو منثور.

عاش بيرم - أيام اختفائه - فى صميم البيئة البلدية، وألفها تلك الألفة التى قيده بها طوال حياته، وأوحت اليه أن «يصورها» أصدق تصوير عرفناه لأديب حديث أو قديم، ولا نستثنى السفينة الشهابية التى كانت تعد قبل نبوغ بيرم فى فنونه البلدية موسوعة هذه الفنون. فانها على تعدد جوانبها لم تتسع لغير القليل مما تناوله بيرم من أطوار المعيشة اليومية إلى الزمن الأخير.

إن «بيرم» كان فى الحق ينبوعا فياضا من ينابيع الفنون الشعبية، نظما وغناء وتمثيلا، بل تصويرا بالقلم يعطينا من

صور الحياة العصرية ما تعجز عنه ريشة الفنان الصانع، وإن فقدانه لخسارة لاتعوض، لأن الزمان ضنين بأمثال هذه العبقرية لا ينفق منها بغير حساب، فإن يكن عزاء من هذه الخسارة، فالعزاء المستطاع أن نعيد الى قراء هذا الجيل مجموعة إنارة التي تبلغ مئات الصفحات، وليس منها ما يجوز عليه الإهمال والنسيان، لأنها على تفاوت درجاتها من الإجادة الفنية درجة واحدة فى صدق التصوير وأصالة الشعور والتفكير.

لقيته آخر مرة وهو يجد غاية الجد فى السعى الى صيانة حقوق المؤلفين والمنتجين، فلعلنا نحفظ له حقوقه بعد ذهابه، فنحفظها فى الواقع لمن يستمتع بها ويجنى ثمراتها، وهم بين أرجاء العالم العربى من مشرقه الى مغربه مئات وألوف».



وفى اليوم التالى.. فى يوم الجمعة ١٢ يناير ١٩٦١ كتب الشاعر الكبير كامل الشناوى يرثى بيرم التونسي فى يومياته فى «الجمهورية» تحت عنوان «أيام مع الشاعر الشائر الغريب».. يقول كامل الشناوى :

«بدأ من حيث كان يجب أن ينتهى، وانتهى من حيث كان يجب أن يبدأ.. ففى مستهل حياته نظم الأوبريت والمسرحية، وعندما بلغ الخمسين أخذ ينظم الاغانى العاطفية.. وكان

يرى أن الأغنية بالنسبة إلى العمل الفنى، هى الشباب
بالنسبة إلى مراحل العمر.. ويقول ساخرا: ماذا أصنع وقد
أراد لى القدر ألا أجد شبابى إلا وأنا شيخ كبير.

وهو شباب لا أمارس فيه النزق والطيش والتحرر من
المسئولية، ولكنى أمارس فقط الشعور بالحب، أو على الاصح
الشعور بوهم الحب!

والأعمال الفنية التى تركها الشاعر تؤلف جبلا، قمته
محاولاته المسرحية، وتصويره للمجتمع والناس، وفلسفته
البسيطة فى الحياة. أما أغانيه فهى سفح الجبل . ولقد
عرفته الملايين بالسفح أكثر مما عرفته بالقمة!

هذا الشاعر الفنان الثائر عاش طوال حياته يعانى العرق،
والقلق، وشظف العيش، وقد يتهيب خاصة المثقفين عندنا من
الاعتراف به، فى حين كانت جامعات أوروبا وجامعة موسكو
تدرس آثاره، وتعترف بموهبته الاصيله، وفنه الرفيع!

ولكنه كان دائما فى المكان الأول من تقدير الشعب، فهو
شاعر الشعب، نبع فيه، وعاش حياته، وأحسن ألمه، وأمله،
وإرادته، ومشاعره. واستطاع أن يسكب من شعره، دمة
الشعب، ويرسم ابتسامته، ويعبر عن إرادته، وأصبح شعره فى
كل فم، النشيد، والأغنية، والموال!

وبعدما أصبحت الدولة من الشعب، عبرت عن احترامها
لشاعر الشعب، ووضعت وسام الدولة على صدره الذى ظل

أكثر سنى حياته يجيش بمشاعر الوطنية، والعروبة، والمرارة،
والثورة، والربو!

واليوم هدأت النفس البشرية الثائرة، وتوقف القلب
النابض، وتجمد الفكر الذى كان اشبه بالموج. فقد أغضى
شاعرنا بيرم التونسي إغفاءة الأبد.. وقلمه فى يده يكتب به
تكملة القصة الإذاعية، الظاهر بيبرس.. مات وعنده كثير
يريد أن يعطيه للناس.

وسارت جنازة بيرم، وأقيمت ليلة مآتمه، والإذاعة تقدم
برامجه والمسارح تمثل رواياته، وأم كلثوم تردد آخر أغنياته!

وبيرم كان شاعرا شعبيا أصيلا. والشعب هو الطبقة
الكادحة. طبقة العمال، والفلاحين، والعاملين فى حقول الفن،
والثقافة، ليس الشعب هو هؤلاء الكسالى، سواء كانوا أغنياء
أو فقراء، فهم فى عقيدته، ليسوا من الشعب، ولكن عالة على
الشعب.

وقد أحب بيرم الطبقة الشعبية المتحركة المفكرة، فأشاد
بمزاياها، وصارحها بعيوبها، وفى مطلع حياته اتجه بنقده
الى علماء الدين، ولم يكن بيرم يكره العلماء، ولا كان ضعيف
الإيمان، فهو شديد التدين، حريص على تأدية الفروض
والواجبات.

واتجه ايضا إلى نقد العادات والتقاليد المعترف بها فى
البيئات الفقيرة.

وهاجم الأدباء والمفكرين والفنانين لأنهم لا يتجاوبون مع
الشعب فى معاناة آلامه، وحل مشكلاته.

إن الشعب هو العامل فى أى حقل، وأى ميدان.

وكان بيرم إذا تكلم عن العمال، يهز القلوب ويثير المشاعر،
يقول على لسان العامل الكادح :

لـيـه أـمـشـى حـا فـى

وأنا منبت مـرا كـم بـي كـم؟

لـيـه نـومـى عـر يـان

وأنا منجد مـرا تـب كـم؟

لـيـه بـي تـى خـر يـان

وأنا نجار دوالى بـي كـم؟

هـيـه كـد قـس مـتـى

اللـه يـحـا سـب كـم!

مـن الصـبـا حـا للمـسـا

والمـطـر قـة فـى إـيـدى

سـا كـت عـلى دى الأـسـى

حـتـى نـهـار عـيـدى

لترتيل سورة سعد، فانتفض بيرم غاضبا. وقال له : إذا حاولت قراءة هذه السورة فسوف اترك المجلس فورا. واذا سمعت أنك قرأتها فى أى مجلس.. فلن تكون صديقى!

واجتاز بيرم مرحلة المحاكاة والنسج على منوال من سبقوه، وهى مرحلة حتمية لكل صاحب موهبة، وعندما بلغ سن العشرين تكونت شخصيته الفنية، وصار له أسلوب خاص فى الكتابة والشعر، ومنذ ذلك الحين لم يعد يحاكي أحدا، وإن كان قد أجاد لهجات لبنان والمغرب، والحجاز وغيرها. وهو لا يحاكي اللهجات فحسب، ولكن يحاكي أيضا عقليات المتحدثين بها، فينفذ الى خلجات نفوسهم، ويحولها الى أثر فنى جميل.

وعاش بيرم حياته غريبا.. فهو فى مواهبه الفذة المتعددة غريب.. يكتب باللغة الفصحى، وباللغات العامية، وينظم الشعر الفصيح، والشعر الدارج، ويؤلف المسرحية، والأوبريت، والأغنية، والنشيد. وهو فى كل ذلك يمتاز بصدق الإحساس، ونفاذ الفكرة، وعمق التأمل، وبراعة الأسلوب.

وهو فى دنياه غريب.. موطنه الأصلي تونس، ومسقط رأسه مصر، وقد ظل بلا جنسية.. السلطات المصرية الخاضعة للاستعمار البريطانى عدته تونسيا فنفته من مصر، والسلطات التونسية الخاضعة للاستعمار الفرنسى عدته مصريا فنفته من تونس!

كيف عرفته؟

سمعت اسم بيرم لأول مرة فى عام ١٩٢٥، كنت صبيا بعد، وكنت أسمعه من أساتذتى الكثير عن بيرم، وأزجاله التى نظمها قبل ثورة ١٩١٩، وخلال الثورة، وكيف هاجم الملك فؤاد عندما أنجب ولى عهده فاروق. فنظم زجلا أشار فيه إلى أن ولى العهد ابن حرام!

وقررت السلطات نفي بيرم من مصر، وغادر البلاد، إلى غير اتجاه. إنه لايعرف أين يذهب؟ وأخيرا استقر فى مرسيليا، ثم فى باريس، وهناك احترف أقسى الاعمال، كان يحمل الصناديق المحملة من داخل المصنع الى العربات الواقفة بباب المصنع.

وضاق بحياته. وكان يرسل الصحف المصرية، يبعث إليها بمقالات وأزجال. ولم يتقاض على كتابته أجرا. ولما أصدر الدكتور احمد زكى ابوشادى جريدة الأيام، طلب من بيرم موافاته بكل آثاره. واتفق معه على أجر شهرى، ولكن الجريدة لم تنتظم فى الصدور غير بضعة أشهر.

ومن باريس كتب زجلا يقول فيه :

الفجر نايم واهلك يا باريس صاحيين

معمرين الطرق .. ماشيين على حبال

ينشف عليها الغسيل والطبلة والغريبال!

وفى عام ١٩٣٩ التقيت ببيرم.. كان قد دخل مصر متخفيا، وكنت إذ ذاك محررا فى جريدة الأهرام، وزارنى الاستاذ سعيد راتب زوج كريمة بيرم وسلمنى ورقة، وقبل أن اقرأها سألتنى :

هل عرفت أن الاستاذ بيرم موجود الآن فى القاهرة؟

- وأين هو؟ أريد أن أراه؟

- كيف تراه؟ إن البوليس يبحث عنه فقد هرب من الباخرة عندما رست فى ميناء بورسعيد.. وتسلل الى القاهرة.. وقد أرسل لك هذا الخطاب لأنه يعلم مدى إعجابك به. فهل تستطيع أن تصنع له شيئا؟

وقرأت الورقة، وإذا هى تتطوى على تحية رقيقة مؤثرة وزجل.

وذهبت إلى أستاذنا أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام، ورويت له القصة. فقال : ان محمد محمود رئيس الوزارة ومحمود فهمى النقراشى وزير الداخلية وأحمد حسنين الأمين الأول فى القصر من أشد المعجبين ببيرم التونسى. وقد سمعت منهم بعض أزجاله، وسأتصل بهم الآن، وأستاذنهم فى نشر زجل بيرم، ليبذلوا مساعيهم عند الملك كى يعفو عنه ويسمح له بالاقامة!

وقلت عـالـشـام أسـافـرر..
إيـاك أـلاقـى لى تـربـه..
فـيـها أـجـاور «مـعاوية»..
وأصـبح حـمـاية «أمـية»..
جـاورت «قـايـسون» وجـيرته..
تـوحش.. ولا فـيـهش حـاجـة..
وعـزرائيل انتـظـرتـه..
ما جـاش.. وجـانى الخـواجـه..
نـافـخ وسـابـق امـارتـه..
وقـال لى : شـوف السـمـاجـه..
البـر تـحت انتـدـابـنا..
اطـع.. دى ما هـش وسـيـه!
رجـعت للـبـحـر تانى..
مـحـتار.. أسـافـر فرنـسا؟..
ولسـه طـعم «البـودانى»..
فـاكـره.. وأنا عمـرى ما انسى..

وإن رحى تونس كـفـانـى..
عذاب أنا والتوانسـيـه..
«جاملان» محضر مدافن..
للأمة.. والأمة حـيـه!..
فى بورسعيد السفينة..
رست تفرغ وتملاً..
والبياعين حـوطونا..
بكاتر بوسـتـال.. وعـمـلة.
لكن بوليس المدينة..
ماتزوغـشى من جنبه نمله..
يابورسعيد ألف حـسـرة..
ولسه طعم «البـودانى»..
هاتف بى هاتف وقـال لى..
انزل.. ومن غير عـزومه..
انزل دى سـاعة تجلى..
فـيها الشـيـاطين فى نومـه..

انزل دا ربك تملىلى ..
فوقك وفوق الحكومة ..
خطيت فى ستر المهيمن ..
للبرر .. يا حكم داريه ..
وأقول لكم بالصراحة ..
الى فى زمنا قليلة ..
عشرين سنة فى السياحة ..
واشوف مناظر جميلة ..
ماشفت يا قلبى راحة ..
فى دى السنين الطويلة ..
إلا ما شفت البراقع ..
واللبدة .. والجلابية!

وبين البراقع واللبدة والجلابية .. بين الشعب الحقيقى نشأ
الشاعر، وعاش، ولفظ أنفاسه الأخيرة ..

وكانت فلسفته فى الحياة والموت فلسفة بسيطة واقعية،
يقول :

قال ايه مراد ابن آدم؟

قلت له : طقه

قال إيه يكفى ابن آدم؟

قلت له : شقة!

قال : كيف يموت ابن آدم؟

قلت له : زقه!

قال : فيها حد مخلد؟

قلت له : لأه!

كان بيرم والحياة.. شراعا وعاصفة.. العاصفة هوجاء،
والشراع صامد.. واليوم انطوى الشراع وتحول الى بارجة
تهزأ بالعواصف وتشق البحر..»



قبل أن يغيب بيرم التونسى عن الدنيا.. كان تكريم الدولة
له ممثلا فى تكريم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، الذى
منحه جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٦٠.



قدم التليفزيون فى مصر عملين عن بيرم التونسى.. كان فى أحدهما أحد الشخصيات التى صاغ مؤلف مسلسل أم كلثوم المسلسل من خلالها.. أما الثانى فكان مسلسلا خاصا به يتناول حياته بشكل رئيسى.. كتبه وأخرجه الصديق العزيز والمخرج التليفزيونى شوقى جمعة والذى تخصص فى الفن الشعبى.



وقد تعرض شوقى لعملية ابتزاز وتصيب فى كتابة مسلسله من أحد المترددين على مكتبه.. والذى قدم له بعض قصاصات الصحف التى تحمل بعض معلومات عن بيرم التونسى، عندما كان شوقى فى مرحلة كتابة المسلسل.. ولكن شوقى فقد هذه القصاصات، فى الوقت الذى كان صاحبها يطارده لاستعادتها.. وفى آخر الأمر طلب أن يكتب له ايصالا بهذه القصاصات.. فقام شوقى جمعة ضيفا بالحاح الرجل بتوقيع ورقة من على مكتبه. وقال له : اتفضل اكتب الايصال اللى انت عايزة.. كنت احد شهود هذه الواقعة.. بل الشاهد الوحيد.. فقد كنت فى زيارة شوقى جمعة فى ذلك الوقت.. ولته، على توقيع «ورقة على بياض» فقال لى شوقى بطيبته المعهودة : «يعنى حيعمل بيها ايه.. ولا حياخذ منى ايه».. ولكن ما حدث كان أسوأ مما كان يتصوره أحد.. فقد أخفى الرجل تلك الورقة، حتى ظهر المسلسل الى النور.. وعندئذ أظهرها وقد كتب فيها اقرارا موقعا من شوقى جمعة يقر فيه

بأن هذا الرجل هو شريكه فى تأليف هذا المسلسل.. وكانت مفاجأة لشوقى وللجميع الذين كانوا يرون شوقى مكبا على أوراقه فى مكتبه يكتب الحلقات التى يخرجها.. ولا علاقة لهذا الرجل بتأليف حلقات بيرم التونسى.

وفى التحقيق الذى جرى، أنكر شوقى جمعة أى دور لهذا الرجل فى تأليف هذه الحلقات، وكان صادقا، واستشهد بي، فى واقعة توقيعه «ورقة على بياض».. ملأها الرجل بعد ذلك بما شاء.. ولكن لم يكن للشهادة أى أثر.. فالتوقيع توقيع شوقى جمعة.. ولم ينكره.. والرجل ارتضى وقبل ضميره أن يضع اسمه مؤلفا لعمل لم يخط فيه سطرًا.. وارتاح ضميره لما فعل.. بل لنقل مات ضميره.. وقبل أن يتقاضى أجرا عن عمل لم يكتب فيه سطرًا واحداً..!



وفى فصول هذا الكتاب نتابع معاً ملامح أخرى من حياة بيرم التونسى، كما رواها هو على صفحات «الجمهورية» فى يومياته الأسبوعية، وفى حواديته الأسبوعية أيضاً التى كان ينشرها على صفحات «الجمهورية» كذلك.

وقد اخترنا واحدة من يومياته رأينا أنها تكاد تكون مقدمة لحواديته، التى ملأها بأحداث عاشها، وشخصيات التقى بها فى المنفى، ومزج بينها وبين حياته فى مصر، وآرائه فى كثير من القضايا والأحداث.



وفى اليوميات التى اخترناها فى هذا الكتاب لنشرها فى فصله الأول يقدم شخصية «جلى جلى» وهو شاب مصرى من أبناء الإسكندرية، التقى به فى باريس وقد أجاد أعمال الحوارة، دون أن يكون ملماً بالقراءة والكتابة، واستطاع أن يكون ثروة فى باريس.. وهو يتناول هذه الشخصية بعد ذلك فى حواديته أكثر من مرة.



وفى أول الحواديت فى الفصل الثانى من هذا الكتاب يقدم جانباً من الحياة فى أوساط المغاربة المغتربين فى باريس من خلال حفل ختان لطفل صغير.. ومن خلال هذا الحفل يقدم شخصيات عديدة بينها راقصة يهودية من أصل جزائرى، ينفذ من خلالها إلى نقد المجتمع العربى، وسلوكيات جانب من أفرادها، ويتابع جانباً آخر من حياة الساحر المصرى جلى جلى.



أما فى الفصل الثالث من هذا الكتاب فيتجه بيرم التونسى فى حواديته إلى شخصيات المجتمع الباريسى، من خلال شاب مصرى ابن أحد أثرياء الريف الذى جاء لدراسة فى باريس فشغلته الحياة مع نساءها، فتتقل بين ألوان مختلفة

من هؤلاء النساء، تختلف أحكامه عليهن، مع الواقع الذي يفاغته بصور أخرى مختلفة لهن.. وهو ما يفعله بيرم كذلك مع سيدة الفندق الذي يقدمها جادة متجهممة ثم إذا هي في المساء يلتقى بها في منطقة البيجال في باريس تمارس أقدم مهنة في التاريخ وتقف عارية الساقين تستجدي اعجاب المارين.



وفي الفصل الرابع يتابع بيرم التونسي في حواديته تقديم نماذج من الشخصيات التي عرفها في باريس ويقدم شخصية بن غبريت وكان بوابا للقنصلية الفرنسية في تلمسان وجاء إلى باريس عند نقل القنصل إليها واصطحبه معه ليقدمه للقنصل بعد ذلك عالما بأموال الدين ويتوصل بن غبريت إلى الحصول على قطعة أرض لبناء مسجد في باريس ويلحق به مطعما ومعرضا للسلع الشرقية وحماما ويصبح المسجد أمرا ثانويا لا يؤدي فيه إلا صلاة العيدين الفطر والأضحى ويصبح النشاط في المطعم والمعرض هو كل شيء .



ويتعرض بيرم التونسي في الفصل الرابع أيضاً إلى رسائل الدكتوراة من السربون ويقدم نصائح للراغبين في الحصول عليها في كيفية اختيار موضوع يروق أساتذة السربون، ثم اللجوء إلى الكتاب الجالسين علي الأرصفة والذين يحترفون صياغة «الفكر العلمى» لصاحب الرسالة. وفي النهاية يصدر الأساتذة حكمهم لصاحب الرسالة «إنك زودت الثقافة العامة بمعلومات جديدة وسلطت أشعة أنوارك على أركان كانت مظلمة».

ويكشف بيرم التونسي بهذا بعض أسرار الحصول على الدكتوراة من السربون ويشير في نهاية حديثه إلى دكتوراة زكى مبارك الذى كان يسمى نفسه الدكاترة زكى مبارك وكان حريصاً على الحصول على هذه الدكتوراة إلى جانب الدكتوراة التى حصل عليها من مصر.



في حودايت الفصل الرابع أيضاً يروى بيرم التونسي جانباً مما كان يدور فى كواليس الفن المصرى من خلال علاقته بالفنان عزيز عيد والفنانة فاطمة رشدى وقد جاء إليه فى باريس والتقىا به مع صديقه إدمون تويما واتفقا مع بيرم على إعادة كتابة بعض المسرحيات المترجمة بأسلوبه «الزجلى»

ويروى بيرم كيف كان الحصول على أجره بعد نجاح عمله
مشكلة وكيف كان عزيز عيد وفاطمة رشدي يفتعلان
الخلافات بينهما ليتهربا من السداد.



لقمة العيش في باريس هي محور حوادث الفصل
الخامس في هذا الكتاب وقد تأتي هذه اللقمة بالعمل الشاق
أمام أفران الصلب أو حتى بالعمل الميسر -نسبيا- والذي
اكتشفه بيرم في أواخر أيام النفي في باريس وهو نقل أقفاص
الخضر والفاكهة في الليل المتأخر من عربات نقلها إلى داخل
سوق الخضر.. وقد تأتي لقمة العيش كذلك من خلال
عمليات نصب وهنا يعرض بيرم التونسي لنماذج من الذين
التقاهم في باريس وعاشوا حياتهم ينصبون ويكسبون.. نصب
من خلال جمع اشتراكات صحيفة لا تصدر بعد أن يضع
النصاب اشتراكاتها في جيبه.. أو نصب من خلال التعيش
على حساب النساء.. واقتناص دخلهن كله.. وهن سعيدات
بذلك.

في هذا الفصل أيضا يروى بيرم التونسي كيف تعرف
بالشيخ سيد درويش في الإسكندرية.. ويقدم صورة لمشايخ
وفناني العشرينات.. وأفراح زمان.



ويتابع بيرم التونسي فى حواديته فى الفصل السادس من الكتاب تقديم صورة عن حياته فى باريس وكيف اهتدى الى العمل فى متجر باريسى كبير كان سعيدا بالعمل فيه.. وكيف أحس بالمهانة وهو يتقاضى البقشيش لأول مرة، ولكنه لم يهنأ طويلاً بالعمل المريح..

فقد نقل اليه أحد معارفه أن رئيس الدولة المصرية فى زيارة لباريس قبل توجهه الى لندن للتفاوض مع الانجليز على الجلاء من مصر.. وأوعز إليه أن يتوجه إلى الفندق الذى يقيم به ليطلب منه السماح له بالعودة إلى مصر.. ولكن الرجل يتوجس خيفة منه ويظن به الظنون ويرسل اليه بالبوليس الذى يفسد عليه حياته.

ولا يذكر بيرم التونسي اسم هذا الرجل، ولكنه يذكر كلماته الشهيرة: «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز».. لكى نعرف أنه مصطفى النحاس باشا.. رحم الله الجميع.



فى هذا الفصل أيضا من الحواديث قصة أحد المشتغلين بالنقد الفنى فى مصر، وهو لا يذكر اسمه أيضا مكتفيا بذكر اسمه الأسمى، عندما مارس الخيانة مبلغا عن زملائه من الأزهريين الذين كانوا يقاومون جيش الاحتلال البريطانى..

وليقبض مكافأة الإبلاغ.. دون أن يعبأ بشنق وحبس ثلاثين من زملائه نتيجة إبلاغه عنهم.. وهو يأخذ المكافأة ويترك الأزهر، ويتخفى فى هيئة جديدة واسم جديد.. ليعيش على النقد الفنى، أو فى الحقيقة يعيش على سرقة أعمال الغير وابتزاز العاملين فى الوسط الفنى من مؤلفين ومخرجين وممثلين.. وكان بيرم التونسى أحدهم، وقد رفع أمره إلى القضاء فكسب القضية فى مرحلتها الأولى وخسرهما فى الاستئناف بسبب شهادة زور لعدد ممن جلبهم هذا الخائن.. ولكنه لجأ الى نقض الحكم.. وتنتهى حياة هذا الخائن بإصابته بالشلل.. وهو فى المحكمة فى قضية أخرى يرفض فيها دفع نفقة لأبناء شقيقه المتوفى.. ويقسم كذبا أنه لا يملك شيئاً.. فما يكاد ينتهى من قسمه حتى يسقط فى أرض المحكمة مصابا بالشلل.

وفى الحواديت مازال فى جعبتنا الكثير مما نأمل أن نقدمه فى مرات قادمة.

ونلتقى فى الشهر القادم مع كتاب جديد بإذن الله

صلاح عطية

salahattia@hotmail.com

القاهرة: مارس ٢٠١٠

الفصل الأول

خبر وشر

جلى .. جلى



هذه واحدة من «يوميات بيرم التونسي» التي كان يكتبها على صفحات «الجمهورية» مرة كل أسبوع.. وقد اخترنا أن نبدأ بنشرها في هذا الكتاب الذي يضم عدداً من «حواديت» بيرم التونسي.. لأنها تتصل بهذه الحواديت وتكاد تكون مقدمة لها.. وهو يبدأ في هذه اليوميات قصة «جلى جلى» الحاوى المصرى المقيم فى باريس.. ويتابع فى حواديته بعد ذلك الحديث عن «جلى جلى».

و«جلى جلى» كما يقدمه بيرم التونسي فى هذه اليوميات شاب من أبناء الإسكندرية، «أمى لا يكتب ولا يقرأ العربية، فضلا عن كتب الشعوذة الفرنسية».. وهذه الكتب تمتلئ بها أكثر من عشرين مكتبة فى باريس ليس فيها غير كتب السحرة والهواة «ماجيك».. و«جلى جلى» بالتالى لا علاقة له بهذه الكتب وإنما هو يرى أن الأهم من ذلك هو الحفظ.. والمران.. فهو يتمرن تمرينا شاقا متواصلا حتى يبرع فى مهنته.. ويقدم بيرم التونسي فى هذه اليوميات جانبا من معالم شخصيته «جلى جلى»، الذى نجح فى جمع بعض الأموال من مهنته، ولكنه ينفقها بسخاء على الطلبة المصريين الدارسين فى باريس، والذين يفسون بعد اليوم العاشر فى الشهر بانتهاء أموالهم.. يجلسون بعدها فى انتظار أول الشهر.. ولكن «جلى جلى» يتوجه إلى تجمعاتهم فى المقاهى.. ثم يفتق عليهم ويدعوهم إلى الشرب على نفقته.. ثم الطعام أيضاً.. «لكى ينفس عما فى صدره».. ويشعر أنه أهم وأفضل من هؤلاء الذين «لا يقيمون له وزنا ولا يرحبون

به إذا زارهم فى المقاهى التى اتخذوها مقراً لهم». عندئذ تكون خطته للتفيس عن نفسه.. ودعوتهم فى أوقات الضنك والشدة.. إلى الشراب والطعام.. ويسعد وهو يراهم يتلهفون على دعوته.. وعلى الشراب والطعام الذى يدفع قيمته فى سخاء.. وكان هذا هو انتقامه: «من أولاد الذوات الذين يحتقرونه»..

ولا ينسى بيرم التونسى أن يضيف فى ختام يومياته ردوداً على بريد يصله، ويجد فى رسالة قارئ من الإسكندرية الفرصة للتدر على جمعية المؤلفين والملحنين.. التى عجزت عن حماية حقوقهم.. وسمحت بعضويتها حتى للبوابين ماداموا قادرين على دفع مائة وعشرين قرشاً ثمن بطاقة العضوية.. لتتمية موارد هذه الجمعية.

«خير وشر».. يوميات بيرم التونسى.. نشرتها «الجمهورية» فى عددها يوم الخميس ١٢ يونيو ١٩٥٧، وتابعتها معاً على الصفحات التالية.

خبير وشر جلى - جلى

بقلم : بيرم التونسي

فى باريس أكثر من
عشرين مكتبة ليس فيها
غير كتب السحرة والهواة
«ماجيك»، وكل كتاب
يتناول أكثر من فرع فى
هذا الفن، وفى هذه
الفرع ما يصلح
للمحترفين وفيها ما
يتسلى به الشباب فى
حفلات السمر العائلية..



بيرم التونسي

ترى ماذا يصنع فى باريس حاو من أبناء الإسكندرية كان يعرض بضاعته الرخيصة على الأطفال ليحصل فى كل شوط على بضعة ملاليم.

لقد إكتسح جلى جلى كل حواة باريس والحواة الأجانب الذين يفتدون على ملاعب باريس، وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ العربية فضلا عن كتب الشعوذة الفرنسية.

يقول جلى جلى فى هذا الصدد: «الرك مش على الحفض الرك عالشغل».

أى أن العلم شىء وتطبيقه شىء آخر، وجلى كغيره من الحواة المعروفين يخرج من فمه مائة كرة ملونة وأعلاما لا نهاية لها، ولكنه يفهم القاعدتين الأساسيتين لهذه الصناعة حق الفهم.

السكة والنقلة

السكة بفتح السين وعلى وزن الفكة هى أن يريك الحاوى يده فارغة، حرة، مرسله الأصابع بينما يخفى فى باطن كفه الخاتم أو الكتكوت، أو قطعة النقود، ثم يخرج المخبأ من جيب أحد الوزراء أو من حقيبة إحدى المقبلات.

وبهذه السكة يستولى من الثرى الإنجليزى على الورقة ذات المائة جنيه
وهى لعبته الكبرى التى لا يبارى فيها.

وترى جلى يتمرن على إخفاء الأشياء فى كفه تمرينا شاقا متواصلا ولا
يسلم على الناس إلا بأطراف أصابعه حتى قيل إنه مغرور أو متكبر،
بينما الرجل يمارس مهنته، وقد وصل به هذا المران إلى أنه يخفى
البيضة الملساء بين ثنايا كفه وهو يزاول بيده كل عمل من أكل وشرب
وتدخين.

أما النقلة فهى عملية خداع للبصر، يريك الحاوى أنه وضع الأرنب فى
الصندوق ولكنه يخرجها من القبعة، وجلى لا يلجأ لهذا النوع من اللعب
لأنه يحتاج إلى أدوات ومساعدين و«دوشة» كبيرة حسب تعبيره.

كان ربح جلى يصل إلى ألف جنيه فى الشهر وكلها من جيوب الإنجليز.
وكان يعز فى نفسه أن مواطنيه من الطلبة المصريين لا يقيمون له وزنا
ولا يرحبون به إذا زارهم فى المقاهى التى إتخذوها مقرا لهم وقد
يسمع أحدهم يقول إذا رآه مقبلا:

- الواد إللى إسمه جلى أهوه...

وينفس جلى عما فى صدره إذا خلا بمن يأنس إليه ويقول إن وجوده
فى باريس أنفع لمصر من وجود سعد باشا زغلول ومصطفى النحاس..
إنه يعرض على رجالات الدنيا مقدره المصرى، وذكاء المصرى.. وهل
الغن الذى يزاوله إلا إمتداد للفن المصرى القديم: فرعون «توت عنخ
أمون» نفرتيتى كل هؤلاء حواة بهروا الناس وخدعوا أبصارهم وخلدوا
إسم مصر على مدى الأزمان.

بل كان جلى يتناول إلى مقام الأنبياء ويقول: إحياء الموتى وشق البحر والدخول فى فم الحوت.. كل هذا براعة فنية أجادها اللاعبون وصدقها الجماهير.. ثم ينخر ويقول هوه فيه مغفل زى؟.. ويسكت ثم يتهد بألم ويهز رأسه كمن ينوى القيام بعمل خطير.. يريد الإنتقام من أولاد الذوات الذين يحتقرونه.

عزومة

أكثر الطلبة فى باريس تفرغ جيوبهم فى الأيام العشرة الأولى من كل شهر.

وإذن يتحرى جلى زيارتهم فى الأيام الأخيرة من الشهر فيجدهم عاكفين على لعب الورق أو الطاولة وكل منهم يحاول أن ينتزع من جيب الآخر عشرة فرنكات.

يختار جلى أقلهم جهامة وعنطزة ويجلس بجانبه.. بونجور يامتر.. هو عامر باشا ماجاش النهاردة.

وقبل أن يهرش الفتى فى ذاكرته يقول جلى:

. عندى موعد موعد معاه النهاردة. تشرب إيه يا أخ؟

. دا واجب علينا.

ويصرخ جلى من أم رأسه على الخادم:

- إثنين ويسكى:

هذه الصرخة تعمل عملها .

أحدهم يطوى الجريدة التي كان يقرأها .

وآخران أغلقا الطاولة

إذ كان كلاهما يلعب وهو كاره وبلا رجاء فى الربح .

يحيى جلى هؤلاء وكأنه رآهم فجأة وهم جديرون بالتحية .. أحدهم ابن وزير والثانى شقيق وزير والثالث ابن أحد كبار الملاك .

وما أن يرى منهم البشاشة حتى يترك صاحبه الأول ويقوم فيصافحهم ويجلس بينهم ويصيح مرة أخرى خمسة ويسكى .

ويعيد أبناء الذوات النظر فى قضية جلى .. شاب ناجح رغم أميته .. أنيق الملبس رغم أنه من طبقة الحفاة، وأخيرا كريم وذوق .

ويسأله أحدهم من أنفه: لسه ساكن فى الأوتيل إياه؟

- أيوه يا بيه .. يعنى بتسألوا عنى! ده حرام عليكم .. أنا أخوكم يا ناس .

ثم يصيح ستة ويسكى .

ويشير إلى طالب يجلس بعيدا وحياتك تأخذ معنا كأس .

ثم ينظر فى ساعته ويقول: عامر باشا مش جاى؟ أنا كنت عازمة عالعشا فى مومارتر، فتح هناك كاباربه جديد، صاحبتة صديقتى .. أما نقوم إحنا، أنا عازمكم كلكم .

وقبل أن يسمع أى حرف من حروف الإعتذار يطلب ست كؤوس أخرى
من الويسكى ويدفع الحساب كله وينهض.
إتفضلوا..

نائمون

يطلق جلى كلمة النائم على كل من يصدق متحدثا أو يصفق لممثل أو
يلعب على جواد أو يعقد الأمل فى وصل غانية.. وهذا النوع من النوم
يعتبره ضعفا وخيبة.

وها هو من يتبعه عدة شبان من أبناء الذوات وهم نائمون يحلمون بما
فى الكاباريه الجديد.

يقف جلى بضيوفه أمام باب المقهى ثم يصيح تاكسى.

ودون أن يلتفت لأحد منهم يصعد إلى التاكسى قبلهم ويجلس.

وهنا يبدأ شعوره باللذة، ها هم يتقدمون نحو السيارة بخطى ثقيلة
ومتعثرة ليتناولوا عشاءهم على حساب جلى جلى.. الحافى.. الأمى.

ويكاد كل سائق تاكسى فى باريس يعرف جلى، أو جلى يعرفه ويحفظ
إسمه.

. على مومارتر يا جاك! وعند مدام سجالا.. وفى السيارة يظلم وجه
جلى ويعقد بين حاجبيه ويلقى بين الفينة والفينة نظرة إحتقار على كتلة
اللحم المتكدسة فى السيارة، ثم يحول وجهه نحو النافذة المفتوحة

ويرسل منها بصقة كان يود أن يلقيها على ضيوفه.

وتقف السيارة أمام باب الكباريه ويلقى جلى للسواق أضعاف أجرته،
ويسبق ضيوفه إلى الباب ويدخل.

وفى خطى بطيئة متعثرة يتبعونه فيجدونه قد إختار لنفسه مائدة
منفردة لا تصلح لأكثر من شخصين.

ثم ينظر إليهم وهم متحIRON فى إختيار الأمكنة ويقول بخشونة: ما
تقعدوا.

ينطقها الذى يقول ما تتلحقوا

ويتركهم يختارون الموائد والمقاعد ويختار هو إحدى نجوم الكباريه
ويدعوها للعشاء معه.

ثم يدفع الحساب كله فى خلسة لينهض فجأة ويفادر الكباريه وهم
يتبعونه.

وينادى التاكسى مرة أخرى ليركبوا بعده، ويدخل مقهى آخر ليدخلوا
بعده وليقوم قبلهم.

وفى نهاية السهرة يختار أخفهم دما على قلبة ويركب معه سيارة يغلق
بابها قبل أن يصعد إليها الباقي ويأخذ فى الحديث.

. ولاد الكلب عاملين نفسهم ذوات.. هم لاقيين ياكلوا.. وقال حكما
ومحاسبين.. دول صياع.. وأنا هنا أضع النقط مكان كل بخرة تخرج من
حلق جلى.

قال له نديمه فى السيارة وقد رآه بيعثر آلاف الفرنكات ولا تزال فى

جيوبة عشرات أخرى.

- وحياتك تسلفنى ميت فرنك لآخر الشهر.

- ماكانش ينعرز والنبي.. أنت نازل فين.

ردود

على إبراهيم السيد - إسكندرية محرم بك:

بطاقة المؤلف والملحن لا تدل على أن حاملها من هذه الطائفة.

وتستطيع أن ترسل بواب منزلكم إلى جمعية المؤلفين والملحنين ومعه

١٢٠ قرشا ثمن البطاقة ليعود ببطاقة مؤلف أو ملحن.

وتحصيل الإشتراكات اليوم يعد من أهم الموارد التي تدخل صندوق

الإتحاد.

أما مجلس الادارة فليس منتخبا من الأعضاء بل من إختيار شركات

الاسطوانات التي تحتكر الثروة الفنية فى مصر.

أكبر عضو فى مجلس الإدارة الحالى لا يتناول من حق الأداء العلنى

لإنتاجه أكثر من سبعين قرشا فى كل توزيع.. هذا العضو يتكلم بإسم

الذين تبلغ حصة أحدهم ١٥٠ جنيها فى كل توزيع ولا يشترك فى

مجلس الإدارة لأن شركات الأسطوانات أسقطته فى الإنتخابات،

والإنتخابات كما نعلم وسيلة مشروعة.. لا غبار عليها.

«بيرم التونسى»

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم الخميس ١٣ يونيو ١٩٥٧.

الفصل الثاني

حوادث:

حفلة ختان في باريس



يعود بيرم التونسي في هذه الحواديت التي كان يكتبها على صفحات «الجمهورية» إلى أيام المنفى في باريس.. وفي هذه الحلقة يروي قصة حفلة ختان شهدتها في باريس.. ويتناول بالحديث شخصيات الحفل.. الطفل نجم الحفل.. ووالده الذي يحمله على كتفيه حتى يرى الطفل الحفل الذي أقيم من أجله.. والراقصة اليهودية «عزيزة شمس الدين» التي ولدت في الجزائر وعاشت في تونس ثم جاءت إلى باريس.. ثم يروي طرفا من حياة الساحر المصري «جلى جلى» الذي قدمنا طرفا آخر من قصة حياته في الفصل الأول من هذا الكتاب.

من خلال الطفل ووالده يقدم بيرم التونسي جانبا من تقاليد حفلات الختان، وقد جرت في باريس..

أما عزيزة شمس الدين، التي تبرعت بالرقص والغناء فلها قصة يرويها بيرم التونسي، منذ كانت تعيش في تونس.. وكانت تحترف البغاء.. ويمر عليها ألوان وأصناف من البشر، اختارت أن تروي قصة أحدهم لبيرم، وكان أميرا مصرية مزعوما، جاء إلى بيت الدعارة الذي كانت تعمل فيه وانتقاها.. وذهبت معه إلى حيث يقيم.. ولكن الأمر انتهى بشذوذ مقزز.. وقد اضطررنا إلى حذف السطور الختامية في هذه القصة.. لأن النفس تعاف ما جاء فيها.. وقد قدمها بيرم لأنها تصلح لدراسة ما يعج به العالم

العربي من ألوان مثيلة لها.. فقصة عزيزة هذه تصلح لمن يدرس الأمراض الجنسية التي يصاب بها المجانين وأصحاب الأمزجة «السوداوية».

ومن قصة عزيزة الراقصة والمطربة اليهودية الجزائرية، ينتقل بيرم التونسي إلى قصة جلى جلى الساحر المصرى.. الذى جاء إلى حفل الختان فى باريس ومعه خطيبته.. وهى «فتاة إلزاسية» رائعة الجمال.. ويروى بيرم التونسي كيف تعرف جلى جلى بالفتاة.. وكيف كان بيرم شاهدا على وقائع وأحداث قصة جلى وهذه الفتاة.. وكيف ساعده وشهد أمامها شهادة خير فى حقه.. يرى بيرم أنها شهادة زور يحاسب عليها..

وتمضى السنون ويعود بيرم إلى مصر.. ويلتقى فى الخمسينيات بأحد العائدين من باريس ليسأله عن جلى وامراته..

ويبدو أن الحال أصبح غير الحال.. فالجميلة أصبحت دميمة: «وشها زى وش الميتين.. وعينيها بائظة.. وخدها مليان دامل.. وتشرب حشيش بدينها.. واقفة تغسل صحون..»

«حواديت: حفل ختان فى باريس» نشرتها «الجمهورية» فى يوم السبت ١٥ يونيو ١٩٥٧.. ونتابعها معا على الصفحات التالية.

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

حوار:
حفلة ختنا
في باريس

بقلم: بيرم التونسي

كانت حفلة الختان في إحدى
الصالات التي أنشأتها بلدية
باريس في أحياء متفرقة
ليقيم فيها الشعب حفلات
الأعراس والأعياد القومية.



بيرم التونسي

وكان فى الصالة كل ما يلزم من مسرح وموائد ومقاعد وأدوات الطبخ وغير ذلك، ليت بلديتنا تنشئ مثل هذه الصالات لكى لا تقام حفلات العرس فى المساكن القديمة الضيقة التى تنتهى فى كثير من الأحيان بمأساة يرتفع فيها العويل وتدق أجراس الأسعاف بعد دقائق الطبول.

كان فى الحفلة عدة آلاف من العمال المغاربة، بينهم من يحسن العزف على الماندولين والكمنجة بدرجة مقبولة.

ولديهم أغانيهم الوطنية التى إنقرضت فى بلادهم العربية وبقيت معهم فى وطن الغربية.

كانت كوكب الحفلة يهودية جزائرية تطوعت للرقص والغناء.

هذه اليهودية تدعى «عزيزة شمس الدين» ولدت فى الجزائر وعاشت فى تونس، وها هى فى باريس، تخالط مواطنيها العرب والقبائليين.

كانت ضخمة الجسم، ضخامة لا تعاب لأن كل عضو فيها يحتفظ بشكله ولا يطفى على الآخر، ولكن ردفها وحده خرج من النسبة المقررة لمقاييس الجمال.

سمعت أحدهم يقول وهو ينظر إلى ظهرها:

- فى عجيزتها متر مكعب من اللحم، هذه الضخامة نسميها وسامة طاغية كانت تستر صوتها النشاز.

كانت تتشد أغنية، لا أدري إن كانت تونسية أو طرابلسية أو جزائرية.

أغنية تفسر الحياة الشرقية، وتعرب عما فيها من كبت وتزمت، تأمل هذا الكلام:

«جدام أهلى نلغتك ونسبك وفى وسط جلبى، نعشقتك ونحبك».

كان الطفل الذى أقيمت الحفلة لأجله راكباً على كتف أبيه لكى يتمكن من مشاهدة حفلته، أو لكى لا يضيع فى غمرة الزحام، وكان والده يتقبل تمنيات المهنيين بعبارة طريفة.

قلت له- عقبال حفلة زواجه.

فقال: ونت حى، وبهذه العبارة يرد على كل مهنى، وهى تماماً كقولنا.

- فى حياتك

البرنس المصرى

كانت عزيزة أو شمس ترحب بلقاء كل مصرى لاعتقادها أن كل مصرى يحسن الغناء أو العزف على آلة موسيقية أو التمثيل على المسرح.

وكانت تفتح مجلسها بأحاديث بارعة تحمل السامع على الإصغاء إليها إلى النهاية.

تقول أحدثكم عن قصة عجيبة:

- إستأجرت فى حى البغايا فى تونس غرفة لحسابى الخاص.

أى إنها تحترف مهنة البغاء الحرة ولا تعمل تحت إدارة قهرمانات المواخير وتجار الرقيق.. ثم تمضى فى الحديث عن أحد عملائها، وتصفه وصف قصاص بارع يبرز ألوان أشخاصه وأخلاقهم، كأنه خلقهم.

قالت لى فى جلسة خاصة. وفى فترة استراحة العرض، أحدثك عن برنس مصرى، جاء من بلادكم إلى تونس، وأرسل البوليس المصرى أربعة من رجاله وقبضوا عليه.

تذكرت عندئذأنى قرأت، خبر القبض على هذا الأمير فى الصحف المصرية، وكان فى شبه بلاغ رسمى: «أرسلت إدارة الأمن العام أربعة من ضباط البوليس إلى تونس ليتسلموا محتالاً عالمياً يدعى أنه من العائلة المالكة».

هاتى يا عزيزة!

فإستطردت تقول: كنت أعمل فى دار للبغاء السرى، ودخل هذا الأمير فاستعرض الفتيات وإختارنى من بينهم وطلب منى أن أصحبه الى فندق كلاريدج حيث يقيم.

فقال القهرمانه: الدفع مقدماً.. وهنا!

فرمى لها الأمير عدة أوراق من ذات المائة فرنك لم تكن تطمع فى مثلها إيراداً لليوم كله.

أما القصة التى فصلتها عزيزة فلم أكن أجرؤ على نشرها فى وقتها، أى منذ ربع قرن.

ولكن هذه الكتب التى تملأ البلاد العربية عن الثقافة الجنسية تغطى قصة عزيزة، بل قصة عزيزة هذه تصلح لمن يدرس الأمراض الجنسية التى يصاب بها المجانين وأصحاب الأمزجة السوداوية.

قالت عزيزة - ركبت معه السيارة فإستوقفها أمام بائع خمور، ونزل منها وخادم المحل يتبعه بعدة زجاجات من الخمور الوطنية والأوروبية ثقيلها وخفيفها.

ثم أوقف السيارة أمام «روتيسيرى» وهو مطعم يبيع الدجاج المشوى واللحوم الباردة والسجق والسلطة الروسية وأشتري منه طعاماً يكفى لعشرة أشخاص ثم أشتري من الحلويات والفاكهة ما يكفى حفلة عرس.

وفى الشقة الفاخرة التى استأجرها فى الفندق جلسنا أمام المائدة من الساعة السادسة مساء الى منتصف الليل.. نشرب ونأكل، ثم نشرب، ثم نأكل حتى لم يبق من الطعام إلا النضر اليسير.. ودارت بنا الأرض.. وزحف كل منا إلى الفراش بكل مشقة.

وتعلق عزيزة بملاحظاتها الخاصة وتقول:

حسبت هذا الرجل ممن يكتفون بالجلوس مع النساء ومسامراتهن ولا شئ أكثر، هؤلاء كثيرون، تعرفهم المحترفات، ولكن أميركم ليس من هذا الصنف كما سنرى.

أيقظنى فى الصباح، فقمتم وعلى رأسى مطارق تصدعنى بضرباتها. وأمرنى بالنزول من الفراش، فنزلت وجلست معه على مائدة الأمس فرأيت عليها برطمان مانيزيا ودورق مياه وكوبين.

أفرغ فى كل كوب ملعقة كبيرة من المانيزيا وصب عليها الماء فإضطربت وفارت، فحمل أحد الكوبين وقال قبل أن يديه من فمه - إشرى هذه المانيزيا لتريحك من تخمة الأمس.

قالت عزيزة: فأبيت، فجعل يقسم أنها لذيذة الطعم، فأبيت: فأقسم بأنه سيفضب ويثور. قلت فليكن.

وأخيرا رمى إلى بمائتى فرانك وقال: هذه لك لو شربت المانيزيا.

قالت: وتذوقت هذه المانيزيا على طرف لسانى فوجدتها كمالء

فوضعت الأوراق المالية فى يدى وتجرعت الكوب للنهاية والأمير يراقبنى بإهتمام وإرتياح

قالت: وبعد نصف ساعة شعرت بتيار من المغص يتجول فى أحشائى يمنه ويسرة فذهبت إلى دورة المياه وإذا بالمرحاض مغلق ولا مفتاح فيه.

والتفت فوجدت الأمير خلفى يضحك ويقول:

- المفتاح فى جيبى، إدخلى البانيو ودفعى قبل أن أقاوم إلى حجرة البانيو وأغلقها بالمفتاح من الخارج.

قالت وإشتد المغض ورجوته بلا فائدة، وشتمته بلا فائدة، وضربت الباب بكل جسم صلب فى الحمام، وهو لا يرد.

وأخيراً أفرغت ما فى أمعائى فى حوض الإستحمام.

وشعرت به يفتح الباب ويدخل متجرداً تماماً ودفعى الى خارج الحمام بعنف وأغلق على نفسه الباب.

قالت عزيزة: وإرتميت فى الفراش وأنا أدافع ما أشعر به من الخجل والعار، وما هى إلا دقائق حتى رأيت سليل محمد على يدخل على وقد..... «وباقى القصة لا يصلح للنشر الآن..»

جلى وعروسته

كانت صالات السينما فى هذا اليوم تعرض فى محلياتها صورة الساحر المصرى وعروسه الفاتنة.

وها هما يدخلان حفلة الختان الجزائرية ويشير دخولهما عاصفة من الهتاف والتصفيق، وها هى الموسيقى المغربية تعود، وتقوم عزيزة وترقص للضيفين.

كيف عرف جلى خطيبته «أ.» هذا حديث يعاد من أوله.

البنّت الوحشة

دخل جلى قهوة «سوفليه» مهرولاً تتبعه فتاة إلزاسية ويدها على صدرها مختلفيتان فى طوق من الفراء الأسود.

وكانت الساعة نحو العاشرة صباحاً وقلما يفيق جلى من نومه فى مثل هذه الساعة.

نظر فى الأركان التى يجلس فيها الطلبة عادة فلم يجد سوى فهرول نحوى وعلى وجهه إبتسامة رجاء.

- محمود: قوم سلم على وحياء أبوك.. وأكرمنى قدام البنّت دى.. زى ما تكرم أخوك من والدك وأطلب لنا حاجة كويسة.. ما تخافشى أنا اللى حادف.

ثم أشار إلىّ وقال بفرنسيته المحدودة:

- أعظم جورناليست فى مصر.. أعظم بروفسير

وجلس وجلست الفتاة، ونفذت ما قال وأنا أشعر بأنى أساعده على إرتكاب جريمة..

فتاة فى التاسعة عشرة مزيج من الماس الأبيض والياقوت الأحمر، لم تلوث وجهها بشئ من الأصباغ، فوق خديها قطع متجاورات من الورد الأحمر وعلى رأسها قبعة صغيرة من الجوخ الأزرق تغطى جزءاً من

شعرها الذهبى المتماوج.. جداً.. وقد جعلت تتفرس بعينيها
الخضراوين فى وجوهنا لتعرف ما يدور من الحديث

قلت لجلي: ناوى لها عالشر يا جلى

. لا والله العظيم أنا عاوز أتجوزها.. وهى كاشة منى.

وألقى فى روعى أنه صادق فقلت ما حضرنى فى الثناء على جلى
وشهامته ورجولته.. وهى شهادة زور أحاسب عليها.

ولم يكتف جلى بما قلت فسألنى بالفرنسية عن إخوانه من أبناء
البشاوات والوزراء لتزداد به إهتماماً ولكنها ظلت كالجبل الراسخ،
وكأنها ملت الكلام وتريد الإنصراف.

فقال جلى بالعربى: شايف بنت الكلب حاتموتتى

أحبها لأنها لم تتبعه كغيرها.. ولم يسحرها بفنه كما سحر
الأخريات.

وقد اساء قيادتها، فأخذها يوم عرفها الى فندقه الذى قلت عنه قبل
هذه المرة أنه أقدر فندق فى العالم.

فرأت غرفة نومه التى لا يرضاها آدمى يشعربإنسانيته، ورأت زبائن
المقهى الذى يملكه، أكثرهم من الأشرار والكسالى المتعطلين، وفى هذا
الجو القاتم عرض عليها الزواج.

نهضت الفتاة وكأنها لا تريد مزيداً من المعلومات، ونظر إليها جلى
بمذلة ثم إنجبر باكياً وكأنه يتأبط دموعه ويجدها وقت ما يريد
ورفعت بصرى إلى الفتاة الواقفة وإذا بها تبكى مثله ولكن بكاءها
صادق.

فقلت لجلى: أبشر

وها هو يتأبط معصمها فى الحفلة.

منذ عامين قابلت أحد القادمين من باريس وسألته عن جلى
وامراته، فقال:

. مراته مين؟.. المرة الوحشة دى؟.. دى كرب.. دى وباء.

واستمر فى الوصف

وشها زى وش الميتين، وعينيها بائظة.. وخدها مليان دمامل..
وتشرب حشيش بدينها.. واقفة تغسل صحون.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله

« بيرم التونسى »

● نشر فى «الجمهورية» فى يوم السبت ١٥ يونيو ١٩٥٧

الفصل الثالث

حوادث:

رياضة فى باريس



«تقديم»

فى هذا الفصل يواصل بييرم التونسى حواديته من باريس.. وهو فى هذه المرة ينتقى عددا من شخصيات المجتمع الباريسى ليقدّمها من خلال صديقه عثمان، الذى جاء الى باريس ليدرس فلم يقرب الدراسة.. وتفرغ لملاحقة نساءها.. وقبل أن يصل باريس الثرى صاحب الستمئة فدان كما يقول هو الى بييرم التونسى، يجد مجموعة من الشباب ذاهبة الى إيطاليا.. فيعدل عن الذهاب الى فرنسا.. ويتوجه معهم الى إيطاليا.. ليمضى فيها شهورا ينفق ما زوده به أبوه من نقود ليعيش بها سنة كاملة فى باريس.. ويجد المخرج مما أوقع نفسه فيه بالكذب على أبيه.. ويوهمه أن الباخرة كادت تفرق به وهو فى طريقه الى فرنسا.. وانهم أنقذوه أمام الساحل الايطالى.. وهو فى إيطاليا تحت العلاج.. وفى حاجة الى نقود.. وهكذا ينتحل المعاذير ويختلق القصص مرة بعد أخرى ليحصل على المال من أبيه.. وهو مع ذلك غير راض عما يرسله أبوه.. ويخترع المزيد من القصص من أجل المزيد من النقود.

فى باريس يجرى عثمان وراء نساءها.. يقع فى المرة الأولى ضحية من تخدعه.. وتوهمها أنها من سيدات المجتمع الراقى فى سان جارمان «الضاحية التى يسكنها النبلاء».. وبعد أن تستطيع أن تحتال

عليه بقصة مختلفة ليمنحها معظم ما معه من نقود.. يكتشف بعد يوم أنها تقف مرة أخرى في نفس المكان الذي التقاها فيه بالأمس لتكرر نفس اللعبة.

ويقع عثمان مرة أخرى في شرك سمراء.. لا يلبث أن يدعوها إلى العشاء.. ثم إذا بها قد رتبت الأمر مع صديقتها الروسية الأبيض.. الذي يهبط على مائدتها ويدعو نفسه معها على عشاء فاخر.. ثم يتسلل الإثنان واحدا بعد الآخر ويعدان بالعودة.. ولا يعودان.. وعثمان جالس ينتظر حتى يكتشف أنه كان «مغفلا» وقع في شرك امرأة وصديقتها وقد رتبا اللعبة ليتناولوا العشاء على حساب أحد المغفلين.. أما بيرم فيعطى صورة لصاحبة الفندق الذي يقيم به.. فاذا هي سيدة متجهمة حادة الملامح أو جادة الملامح.. ولكنها بعد انتهاء عملها يعثر عليها في حي البيجال، حي المولان روج والملاهي الرخيصة والمحترفات المتواضعات.. تقف «السيدة الموقرة» لتمارس أقدام مهنة في التاريخ.. «وقد شممت عن ساقها في ثوب قصير يصعد إلى ما فوق ساقها العاريتين، وقدمها في حذاء أحمر قان..»

«حواديت: ريفيه في باريس» بقلم بيرم التونسي.. نشرتها «الجمهورية» في يوم السبت ٢٢ يونيو ١٩٥٧ ونتابعها معا على الصفحات التالية.

حوادث: ريفية في باريس

بقلم: بيزم التونسي

رأها عثمان في اليوم الرابع
من شهر مارس.

عثمان بكسر العين لقبه
المعروف به بين الطلبة.

رأها واقفة أمام أحد أبواب
«لابرينتان» وهو المتجر الهائل
الذي يقع في جران بولفسار،
أكبر شوارع باريس التجارية،
كانت تحمل عدة لفائف
مختلفة الأحجام والأشكال من
علبة مستديرة، وصندوق مربع
ولفافة مستطيلة.



بيزم التونسي

سيدة فى نحو الثلاثين من عمرها، نصفها الأعلى محبوبك فى
جاكته داكنة تضغط على خصرها وتبرز صدرها وردفها، ولا يظهر
منها غير كتفياها، وجزء قليل من ظهرها، وحوض صدرها .. على رأسها
قبعة بسيطة يخرقها سهم مستطيل من الباغة كريشة الطائر الأنيق.

كانت تتبع بنظرها سيارات التاكسى، وكلما همت ببناء سيارة،
وجدتها مشغولة، فتضغط على شفيتها بأسف، وإستجمع عثمان كل
شجاعته وتقدم إليها وقال:

- تاكسى؟

فإبتسمت فى أرسقراطية، وقالت بصوت منغم:

- أنت لطيف جداً.

فسارع عثمان، وإنتزع من يديها اللفافات الواحدة بعد الأخرى إلى

أن قالت:

- حسبك هذا ..

ثم نظرت فى ساعتها، وهى تسير معه على الرصيف وقالت:

- أخشى أن يفوتنى قطار سان جارمان.

سان جارمان!!! إسم مهيب بملاً الأسماع.. إسم الضاحية التي يسكنها النبلاء، وفيها الغابة الطبيعية التي تحنو أشجارها منذ مئات السنين على طلاب الخلوة.. مرحبا بك أيتها السانجارمانية.

نظر عثمان أيضا فى ساعته، وقال وهو يميل إلى أول بار:

. كل ساعة يوجد قطار لسان جارمان، فلنشرب شيئا قبل سفرك
بسلامة الله.. الساعة لا تزال الحادية عشرة.. وتبعته فى تردد مثير.

وسبقها إلى كنية مستطيلة، ووضع حملة، وأخذ منها الباقي، وتركها
تجلس فى أقصى الكنية بينه وبين الحائط، كأنما يخشى هروبها وقال
للخادم الواقف على منصة البار.

.. واثنين كيرش.

وهذا شراب يناسب المقام يضعه المترفون على سلطة الفواكه المؤلفة
من قطع التفاح والكمثرى والشمام، أو يشربه الذين يريدون تمزيق برقع
الخجل.

واستجمع عثمان كل ما لديه من ظرف ولباقة، وتناول من المغلفات
علبة كبيرة مستديرة وقال:

. أراهن أن فيها قبة..

وأشار إلى بقية الطرود وقال . وفى هذه العلية حذاء وهذه زجاجة
كولونيا وهذه.. وهذه.. كانت تصفى إليه وتبتسم، وأخيرا قالت:

. يالك من فضولى ظريف..

وصاح عثمان لصاحب البار:

. .. واثنين كيرش

وهمست الحسناء فى أذن عثمان وقالت بلهجة الجادة المتوسلة:

. زوجى ينتظرنى على المائدة فى الساعة الواحدة تماما، فما العمل؟

وكما عرف عثمان محتويات الطرود، أراد أن يعرف صناعة زوجها وإسمه وعمره وماهيته..

فقالت الحسناء: زوجى رجل ذو شأن، يدير مصنعا لمنتجات الجلود، حقائب السيدات والمسافرين، وتوجد منتجاته فى جميع المتاجر فى باريس ومدن فرنسا.. مسكين لا يجد وقتا للراحة، عمال وعاملات، وكتاب وكاتبات، إنى مشفقة عليه وأتحرى راحته وسعادته.

وأطلق عثمان لخياله العنان، الرجل الذى يمون المتاجر الفرنسية بالمصنوعات الجلدية لابد أنه تجاوز الخمسين، وهذا النوع من أصحاب الأعمال قلما يجدون وقتا لإسعاد زوجاتهم. وها نحن نرى قصصهم على شاشة السينما، وسان جرمان التى تسكنها هذه الحسناء، قرية هادئة . مقفلة على سكانها، وأهلها يعرف بعضهم بعضا.. ولو تناغى عصفوران على غصن من أشجارها، لكان ذلك حديث القرية كلها، ومن المحال أن تزور هذه الحسناء مدينة باريس الصاخبة وتغادرها قبل أن تستمتع بمباهجها وها هى وجدت مشتهاها.. إنها كغيرها من بنات فرنسا تستجيب بسرعة إلى الشاب الشرقى ذى الوجه الأسمر

المستطيل، والعينين الضيقتين، والأنف البارز الغليظ، والشعر الأكثر الخشن، والشفتين السوداوين الغليظتين، كل هذا متوفر فيك يا عثمان. دارت هذه الخواطر في رأس عثمان بسرعة البرق فقام إلى البارمان، وأسر إليه حديثاً أحنى له رأسه بالإيجاب.

وعاد إلى الحسناء وقال:

. الغداء هنا وفي الدور الأعلى.

. هذا مستحيل، أترك الغداء للخميس القادم، أنا في كل خميس، أزور باريس، قالت هذا وإستلمت الكأس التالي وأخذت حقيبتها وقامت، فإحتضن عثمان اللفافات كلها وسبقها إلى خارج البار. ثم قال وهو يدخل باب العمارة الملاصق لباب البار - إتبعينى.

العمارة كلها مؤلفة من حجرات مفروشة يسكنها العزاب والأزواج.. ويملكها صاحب البار وقد خصص منها غرفة في الدور الأول للزيارات المؤقتة.

مثل هذه الغرفة موجودة في أكثر فنادق باريس يعرفها عثمان وغير عثمان، قالت وهي تصعد خلفه في أي دور تسكن؟

. الدور الأول..

حانت الساعة الخامسة، وأصرت السيدة على الإنصراف وهي شبه غضبي وسمح لها عثمان بالإنصراف وهو شبه غاضب.

ثم قالت السيدة وهى تبحث عن حقيبتها:

. يا للكارثة ..

. ماذا جرى؟

. كلفنى زوجى أن أشتري له من باريس علبة سجائر هافانا، وها أنا أنفقت كل ما معى على حاجياتى الخاصة.. يا لى من غبية، ماذا أصنع؟
ماذا أقول؟

فقال عثمان ببساطة . بكم علبة السيجار؟

قالت وكأنما تستحى أن تقول غالية.. بخمسمائة فرانك فيها خمسون سيجارا.. له مثلها فى كل أسبوع.. ولا توجد عند دهاخنية سان جارمان.. دبرنى للمصيبة..

أخرج عثمان محفظته، وقبض على كل ما فيها من أوراق وعدها ثم قال:

. لحسن حظى يوجد معى سبعمائة فرانك هاك الخمسمائة فرانك..
لا تتحيرى..

. شكرا، سأردها لك فى الخميس القادم.

فى اليوم التالى ذهب عثمان إلى شارع «الجران بولفار» ليأنس بذكرىات أمس السعيد، فوجد ساكنة سان جارمان واقفة أمام محل «لابرينتان» ومعها لفائفها لم تنقص منها واحدة.

فأدرك أنه كان ضحية امرأة تجيد التمثيل والإخراج.. والمرأة الفرنسية لا تضيع دقيقة من وقتها فى فراغ.

فالمربية التى تدفع أمامها مركبة الطفل فى حدائق التليرى لها فى كل ركن من هذه الحديقة الهائلة صديق من أثرياء الشيوخ الذين يلتمسون الدفء فى حدائق الملوك، لكن منهم يوم وكل منهم يعرف أنه صديقها المفضل وينفق عليها بسخاء.

ومن هؤلاء الممثلات صاحبة الفندق الذى أسكنه فى الحى اللاتينى وفندقها هذا من الدرجة الثالثة الذى يسكنه العمال ويدفعون الأجر فى كل أسبوع.

وللفندق بابان أحدهما فى الشارع تغلقه فى أكثر الأوقات، والآخر داخل البار الذى تديره مع الفندق، وهو الذى تفتحه لتتمكن من مراقبة الداخلين والخارجين، ولا تغلقه إلا عندما تأوى إلى فراشها.

إمرأة صارخة الملامح ذات شعر أحمر خشن وشفيتين دقيقتين، تدلان على القسوة وبرود العاطفة، تقف على منصة البار مشمرة عابسة الوجه تصب الشراب للعملاء بكبرياء وتأخذ النقود بلا كلمة شكر، وتغسل الأكواب بتقزز وإشمئزاز، وهكذا تظل إلى أن يستيقظ زوجها ويتسلم نوبته فى العمل وتختفى هى من الحى كله.

كنت فى الدخول والخروج أطلب كوبا من القهوة لتخفف من نظرات الإحتقار التى توجهها لى وإلى المقيمين فى فندقها.

سألتنى مرة وأنا أشرب قهوة الصباح.

. المرأة الغليظة التي خرجت الآن.. كانت عندك؟

. لا.. أى امرأة؟

فقلت وهى تهز رأسها مهددة . سوف أعرف الخنزير الذى كانت عنده فى هذه الليلة.

رأيت هذه السيدة الموقرة فى حى «البيجال» حى المولان روج والملاهى الرخيصة والمحترفات المتواضعات.. كانت تتبختر فى ثوب قصير يصعد إلى ما فوق ساقىها العاريتين وقدمائها فى حذاء أحمر قان.. وحقيبة أيضا حمراء معلقة فى يدها تطوحها فى الهواء إستوقفت طالبا صينيا، كما تستوقف بنات هذا الحى عابرى السبيل، ولم يطل الحديث بينهما حتى تأبط معصمها وساروا إلى حيث..

غباوة عثمان

ليس الحى اللاتينى من أحياء الدرجة الأولى فى باريس ولكنه أكثرها متعة وبهجة.

فيه تسمع كل اللغات وتستعرض ملامح جميع البشر، وقسمات وجوههم، التى تميز كل جنس عن الآخر ولا تتسنى لك هذه المشاهدات، إلا بالطواف حول الكرة الأرضية.

كنت أمشى على مهلى فى شارع سان ميشيل، الشارع الرئيسى لهذا

الحى، وإذا بعثمان المذكور أنفا يضع يده على كتفى ويحيى:

. على فين

. على مونبرناس

. خذنى معاك

وعثمان كآدمى يبغضه طوب الأرض.

كان يتكلف الحملقة والرقاعة ليكبر ويرتفع ولكنه يصغر ويسفل. كان إذا جلس فى أحد المقاهى صرخ وصفق حتى يقف له العامل الذى يحمل صنيتين مزدحمتين بطلبات الناس.

ويدير عثمان وجهه إلى زميل له ويسأل بتأن:

. أشرب إيه؟ آخذ إيه؟ بيرة ولا كازوزة؟ كازوزة إيه؟ أطلب عشا؟ مش جعان.. إسمع! إعطنى واحد سينزانو.

. حاضر يا سيدى

وما أن يسير الخادم خطوات، حتى يناديه مرة أخرى.

ويعود الرجل، فيقول عثمان: لا تضع الثلج فى الكأس..

. وهو كذلك يا سيدى.

ولا يكاد يبتعد حتى يقف عثمان ويناديه بإلحاح كأنه يتحاشى كارثه..

ويعود المسكين بحمله الثقيل، فيقول عثمان:

. أقصد أنك تضع الثلج فى صحن على حدة..

سألنى عثمان ونحن فى الطريق:

. حاتصعد فىن فى مونبارناس؟

. فى الكوبول

. وأنا معاك

وأشار عثمان إلى فتاة تسير وحدها متسكعة تتصفح وجوه العابرين بعينين غمشاوين.

. شوف دى! ماشية تتقى وتختار.. ودى صاحبة مزاج.. أنا أحب الصنف ده.. عن إذنك.

وفى خطوات حازاها وألقى عليها التحية..

فنظرت إليه من أعلا إلى أسفل، وقالت لست من بنات الأرصفة، أيها السيد.

هذا الترفع يشعل النار فى قلب عثمان ويزيده تصميمًا على الظفر بفريسته.

. قال: ولو عرفت أنك من هؤلاء ما كلمتك.. أنت طالبه؟

الفتاة سمراء كأنها من والدين أحدهما مارتينيكي، عجفاء هزيلة

كأنها لم تتناول الطعام عدة أيام.. تختبئ في مطعم قديم واسع..
ويلتوى حذاؤها تحت قدميها فردة بعد فردة.. ليست أكثر من خادم
عند عائلة بورجوازية فقيرة، وها هو أحد الأغنياء يلقي عليها سؤالا
محرجا، فقالت له في غضب:

. وما شأنك أنت؟

فمال نحوى ومش ورائى، وقال مش حاسيب البنت دى.

فقلت له: حاول.

وأسرعت الخطى إلى مقهى الكوبول لأدرك طبق المحار قبل أن ينفذ.
هل تعرف المحار؟ يسميه الإسكندريون «مبديا» وهو أسود الغلاف
ويوجد بكثرة في سواحل فرنسا..

ويقدمه مقهى الكوبول شوربة بيضاء لذيذة المذاق وبشمن رخيص،
وقلما تجد في الكوبول مائدة فارغة قبل أن تمشى في مسافات طويلة
بين المقاعد وفي مقهى لا تقل مساحته عن فدانين.

وبعون الله: وجدت المائدة وجاء طبق الحساء، وإذا بعثمان وصديقه
مقبلين.

. أهلا وسهلا

. إنتصرنا يا سيدى

تزحزحت إلى طرف المائدة وجلس عثمان بجانبى ليحول بينى وبين

غنيمته.. ثم تناول بطاقة الطعام وقدمها إليها، طلبت الفتاة الطبق الإنجليزي، وأعجب عثمان بإختيارها وطلب لنفسه طبقا مع زجاجة كبيرة من نبيذ بوردو.

وقبل أن تحضر الأطباق، مال نحوى وقال: خلى بالك دى مش من إياهم.. وفجأة وقفت الفتاة وأخذت تنادى - ديمتريوف.. ديمتريوف.. وأقبل فتى طويل القامة ضخم الجسم له وجه طفل، فقالت وهى تصافحه بحرارة وتقدم له الكرسي.

- إنتظرتك بجانب المترو وأمام السينما وفى محل الإسطوانات وفى كل مكان أين أنت؟

ثم قالت لعثمان:

أقدم لك هذا الصديق الظريف.. إنه من الروس البيض، أحذركم.. عمره ١٧ سنة، ولا يزال فى المدرسة، وكانت حفظت إسم عثمان فى الطريق فقالت للطفل الروسى - صديقنا الموسيو أوتومان، فقام الروسى وصافح عثمان بحرارة شرقية لا يستهان بها.

وجاء الخادم بالطعام الشهى، فقالت العجفاء لديمتريوف - إتعشى معنا.. وناولته بطاقة الطعام، وكأنما تدرّب الإثنان قبل اليوم على إستغلال مثل هذه الفرصة، فقال للجرسون بصوت خفيض: فرخة وإسباجيتى.

وعكفت الفتاة على الصحن الإنجليزي تختطف منه بالشوكة قطع

الخنزير والكفتة بنهم مخجل.

وأراد الغلام الروسى أن يخفف من صفاقته فى طلب الدجاج
والإسباجيتى فقال لعثمان:

. أنا رأيتم قبل اليوم على سلم السربون .. أليس كذلك ..

فقال عثمان وهو يعالج قطعة مرتديلا تتزحلق من تحت الشوكة
وتأبى السكين أن تقطع غلافها الجلدى .. طظ يا سيدى فيك وفى
السربون .. قالها بالعربى ثم إلتفت إلى وقال:

. المصيبة دى كانت فىن .

وجاءت الدجاجة وصينية الإسباجيتى المعدنية المستطيلة وبجانباها
وعاء الصلصة والجبن المبشور.

وقبل أن يذهب الجرسون قال ديمتريوف:

. زجاجة بييرة أستوت .

لم تدرك الصبية العجفاء العبيثه ما طرأ على وجه عثمان من الكآبة
فأخذت تحدثه عن الروس البيض، وما يقاسونه فى الغربية، خاصة هذا
الفتى الطيب ديمتريوف. ويشربون ويهز عثمان رأسه، ويقول: ينعل
أبوكى على أبوه.

كان ديمتريوف يلتهم آخر خيط فى الإسباجيتى بعد أن أتى على
الدجاجة وحضر خادم المقهى فطلب بصوته الخفيض طبقا من التفاح.

حملت الفتاة حقيبتها الحرياء، وقامت إلى مكان التواليت وهو فى أقصى المقهى بعد أن قالت سأعود، وبعد أن إلتهم ديمتريوف التفاحة نظر إلى أحد العابرين وفرقع بأصابعه ليناديه.. وقام وهو يقول - عن أذنكم أنا راجع.

عثمان وأبوه

مرت ساعة كاملة وعثمان ينتظر صاحبتة بلا فائدة، وأدرك أنها رضيت بصحبته إلى أن تعثر على صديقها اليافع الفحل، وقد إختفى الإثنان بعد أن تناولوا الطعام الشهى.

دقت الساعة الواحدة وإبتدأ الخاروجون من الملاهى يردون على الكوبول فرادا وجماعات، وأكثرهم بملابس السهرة مستعدين للرقص فى مرقص الزنج الواقع تحت المقهى.

ومما لفت أنظار الناس أن بعض «سيدات المجتمع» الفرنسى كانت تدخل وذراعها فى ذراع زنجى صومالى يرتدى السموكن والياقة البيضاء العالية وقبعة السفراء السوداء، وهو الذى يرقص معها «الرومبا» التى ظهرت حديثا.. بعضهن تفرد لهذا الراقص حجرة فى مسكنها الخاص تحت بصر زوجها.

أطرق عثمان برهة ثم ضرب المائدة بقبضة يده وقال:

- أنا عايز أضرب أبويا بالرصاص، عايز أسمه بالزرنىخ، تصور رجل

عنده ستميت فدان ويبعت لى أربعين جنيه كل شهر، وانا وحيدة اللى ما
عندوش غيرى؟

وأخذ عثمان يصف أباه ويروى ما أنزله بالرجل المسكين من النكيات
لمجرد أنه أبوه، يصف شكل والده فيقول إنه لا يزال بالزعبوط الأسود
والعمة المزهرة والبلغة الصفراء.

ويصف عقله فيقول:

. تعرف حكاية المركز الحرج؟ رجل مثل أبى، أرسل ولده إلى إنجلترا
ليتعلم، وأبطأ عليه فى إرسال مرتبه فبعث إليه برقية يقول فيها «أنا فى
مركز حرج» فقال الوالد: طيب مش كان يقول المركز الحرج فى أنهى
مديرية.. أبى من هذا الطراز.. ولولا أن أمى تسعفنى من وقت لآخر بالنقود
ما استطعت أن أعيش هنا.. ويضحك عثمان من أعماق قلبه ويقول:

. احكى لك على أول مقلب عملته فى الراجل ده.

أرسلنى إلى فرنسا، لا لأتعلم، ولكن ليخلص من شقاوتى كما يزعم،
وشاءت غباوته أن يضع فى يدي أربعمئة جنيه لنفقة سنة كاملة.

ولكنى فى الإسكندرية وجدت بعض الشبان ذاهبين إلى إيطاليا،
فتركت البواخر الفرنسية، وأخذت التأشيرة على جواز سفرى من
القنصلية الإيطالية وبعد أيام كنا فى نابولى.

فرنسا مين وزفت مين، دى إيطاليا يا أستاذ فيها متع.. أكل بتراب
الفلوس وبنات صحاب مزاج!

ضيعت متين جنيه فى عشرين يوم وكتبت له جواب أقول له فيه أن
الباخرة غرقت فى خليج صقلية وأنقذتتى قوارب الإنقاذ إلى الساحل
الإيطالى وغرق كل شىء حتى ملابسى، وأنا الآن فى المستشفى أنتظر
عطفكم.

وعنها تسلمت ٤٠٠ جنيه أخرى، ومائة من الوالدة الكريمة، أطال الله
عمرها، وقضيت ثلاثة شهور فى إيطاليا، شهرين فى روما ويا قلبى
على بنات روما.. السمرة الخمرية الجذابة والجسم المكتنز، وأمامك
دمجانة الكباتشى والإسباجيتى اللى على أصلها، وشهر فى فلورنسا
«ويضرب بكفه جبهته الضيقة ويقول» كيلو الكريز الأسود بقرشين
الخوخة اللى تتباع هنا بعشرة فرنك هناك بقرش.. جيت فرنسا غصب
عنى.. وبعث للراجل أقول له خلاص أنا طيب بخير وحادرس العلوم
السياسية يعنى حاطع لك قنصل أو سفير، شد حيلك تعرف بعث لى
كام؟ ميت جنيه.

والذى عرفته عن عثمان أنه لم يقترب من أى مدرسة وقد مضى عليه أكثر
من عامين بفرنسا وجل همه البحث عن صاحبة مزاج تريد الرجل للرجل
والحب للحب، فلا يعثر إلا على مثل حاملة اللفافات أو صديقة ديمتريوف،
فيرسل اللغات الصاعقات لا على فرنسا.. ولكن على أبيه المسكين.

«بيرم التونسى»

● نشرت فى «الجمهورية» فى يوم السبت ٢٢ يونيو ١٩٥٧

الفصل الرابع

حوادث:

قدور بن غبريت وحكايات أخرى



«تقديم»

في هذا الفصل من حواديته يروي بيرم التونسي حكاية تدور أحداثها خلال منفاه في كل من تونس وباريس.. وفي الحكاية شخصيتين محوريتين أولهما شخصية قدور بن غبريت.. والثانية هي مطوف جاء في زيارته السنوية من مكة إلى تونس كعادة المطوفين بعد انتهاء موسم الحج.. ولكنه «استمر في الإقامة في تونس الخضراء، وأحبه القوم لأنه كان ظريفاً، ومن أبناء النكتة».

أما بن غبريت بطل حكاية بيرم التونسي في هذا الفصل من الكتاب فهو قد كان «بوابا في قنصلية فرنسا في مدينة تلمسان التي تقع بين الجزائر ومراكش».. وعمل لدى امرأة القنصل في أعمال البيت والذهاب بالأطفال إلى المدرسة.. ولكن طموحه أوصله إلى ما أصبح عليه.. فقد انتقل القنصل بعائلته إلى باريس.. واصطحبه معه، وعاونته زوجة القنصل على إتقان اللغة الفرنسية قراءة وكتابة.. بعد أن أتقنها حديثاً ونطقاً.. ثم كان أن قدمه القنصل كعالم من علماء المسلمين بينما كل معارفه الدينية لاتزيد على أسماء الأئمة الأربعة ومواقع قبورهم.

ولكن بن غبريت ابتكر شيئاً جديداً.. فقد حصل على قطعة أرض لإنشاء جامع.. وتجول في العالم العربي والإسلامي ليجمع التبرعات لبنائه.. وقد أضاف إليه مطعماً شرقياً وحماماً ومعرضاً لبيع المصنوعات الشرقية.. وكانت هذه هي فوائد الجامع.. أما الصلاة فلم تكن تقام فيه إلا في عيدي الفطر والأضحى «وبقية الأيام لاترى فيه غير السواح الأجانب والشرقيين وكان الزحام كله في المطعم والحمام والمعرض».

وتعرف بن غبريت على المطوف.. وأصبح المطوف شريكه ومساعدته في إدارة مشروعه.. الذي لم يكن فوق مستوى الشبهات.. برغم وجود المسجد في إطاره..

ويروى بيرم التونسي طرائف عن الحصول على الدكتوراة من جامعة السوربون، ويقول: لكي تضمن النجاح في السوربون تخير موضوعاً تتراح إليه نفوس الأساتذة الممتحنين، قل عن نافع بن الأزرق، الذي كان يناكف عبدالله بن عباس ويسأله عن ألفاظ الغزل ومعانيه، إنه أول رجل وضع قواعد البحث الحر في الإسلام.. أما كتابة الرسالة بالفرنسية فليست مشكلة.. فحول السوربون ينتشر الكتاب.. مثل العرض الحالية قديماً حول المصالح الحكومية.. ومهمتهم صياغة «فكر» صاحب «الرسالة» في «قالب علمي» وبأسلوب يليق بكتابة الرسائل العلمية وبأجر بسيط.

ويضيف بيرم التونسي: «سيقول أساتذة السوربون: إنك زودت الثقافة العامة بمعلومات جديدة وسلطت أشعة أنوارك على أركان كانت مظلمة..».

ويبدو أن موضوع مثل هذه الرسائل الجامعية للدكتوراة والماجستير قديم ومتواصل.. وما نسمعه عن الدكاترة الذين يسافرون لأسبوع ويعودون وهم يحملون ما يسمونه «دكتوراة»، أمر متواصل منذ القدم.. وكثر هذه الأيام.. وفي حكايته ينتقل بيرم التونسي إلى حصول ابن غبريت على الدكتوراة - بهذا الأسلوب بطبيعة الحال - ثم يشير إلى رسائل الدكتوراة للدكتور زكي مبارك، الذي كان يسمى نفسه الدكاترة زكي مبارك، لحرصه على الحصول على الدكتوراة من السوربون إضافة إلى الدكتوراة من الجامعة المصرية.. ويقول إنه «أتعب أساتذة السوربون وأتعبوه حتى أقام في باريس أكثر مما كان يظن، وأنفق على نفسه فوق طاقتة».

في حواديت هذا الفصل حكاية أخرى فرعية عن الفنان المصري القديم عزيز عيد والفنانة فاطمة رشدي وارتباطهما ببيرم التونسي وصديقه إدمون تويما وقيام بيرم بكتابة المسرحيات زجلاً، أخذاً عن مسرحيات مترجمة.. ويروى كيف كان عزيز عيد وفاطمة رشدي ينتحلان الأسباب ليهربا من سداد مستحقتهما عن كتابة هذه المسرحيات.

«حواديت بيرم التونسي: قدورة بن غبريت وحكايات أخرى».. نشرتها «الجمهورية» في يوم السبت ٢٩ يونيو ١٩٥٧ ونتابعها معا على الصفحات التالية.

أمريكية لسيادة الاراضيين

في بيان طلب إسرائيل وطن مصري بأربعة ملايين من الجنيهات

أين تظهر منزلته
الرفيع النخلة التي تتجلى
أنت منها في ذاته. أن لا
تأخذ لغيره من النخلة
عقب العروق الجيدة.
لبن العنبر من ٧

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الجمهورية

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

AL GOMHOURIA 29 JUNE 1957

صفقة القواصات الجديدة.. وهل هي جديدة..؟

لماذا اتساع مصر..؟

هل تريد محاربة الغرب؟
هل تريد الهجوم على إسرائيل؟
في هذا التحقيق السياسي يذيع انور السادات لأول مرة اسرار صفقة القواصات الثلاث التي اشترتها مصر من الاتحاد السوفيتي. كيدومني ولماذا تمت هذه الصفقة؟
وفي هذا التحقيق يذيع انور السادات لأول مرة حقيقة مولف امريكي من سلاح مصر وكيف اودت ان تجعل من مدنا بالسلاح هو الصلح مع اسرائيل... ثم كيف حاولت امريكان تخسيفنا حتى لا نتسلح... ولقد استمرت هذه المحولة ثلاث سنوات...
عده الصفحة السكيرى
علا ١٠

اي صبري يتحدث

عن السيد علي صبري مدير مكتب رئيس سورية للسفوفيات...
سائل المصرية والعربية التي يعنى بها العام العربي
في ضوء عقيدة الزيادة العربية...
سنة ١٩٥٦
١٩٥٦

لجنة أردنية أمريكية لسيادة الاراضيين

سب بطانهم مقابل تسليمهم في زادكس اوردك
امريكا تتعهد بدفع جميع نفقات المشروع

تعديل قانون
مناشآت ١٩٥٦
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

مساهمة البنولة
المصرية
في تمويل حصول الفن الجديد
عنت المصرية
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

انور السادات

انور السادات
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

اعلانت

لحملة وناصح تأميم اللويدية

ترجمه وكالة التجارة والتأمينات
شارك تشكيلين وشركاء...
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

أمريكا تواصل تسليح فرنسا

ترفض التفضل الدولي في مسألة الجزائر
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

مشوهو الحرب

الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

شركة القاهرة للتأمين

اعلان لحملة وناصح تأميم اللويدية
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح
الاصحاح

الصفحة الأولى من «الجمهورية» في يوم السبت ٢٩ يونيو ١٩٥٧

حوار فردوس جبريت وحكايات أخرى

بقلم: بيرم التونسي

العربي المسلم أقل قدرا عند
الفرنسيين من إنسان
الإسكيمو وزنجي الصومال
والكاميرون.

منذ أكثر من مائة عام خالطوا
العربي مخالطة الناهب
والسارق، ولم يتكفوا معرفة
أصله وتاريخه وثقافته رغم
وجود الكتب التي ألفها علماء
فرنسا عن التمدن العربي
الإسلامي.



بيرم التونسي

ملحوظة مهمة

**الصفحات من ١٢٩ إلى ١٦٠ ناقصة
نتيجة خطأ مطبعي**

كان المغنى نجم الحفلة، لا العريس ولا العروسة، ولأجله ينصب الصيوان وتعلق الكلوبات والشربات، فإذا غنى إنطلق بنفس مرحة، وأحس ما يقوله وجاوبه السامع فى إحساسه.

غادرنا حفلة العرس فى الفجر، وسار المشايخ يترنحون بما علق فى أذهانهم من فقرات الأغنية:

. وكم صبرت.. ياما شربت.

وها نحن الآن فى حالة غريبة فى باريس، ومعنا متشرد من «حمايات» سوق المغاربة فى الإسكندرية. طرده أهله لأنه أدمن وهو فى سن الخامسة عشرة كل أنواع المخدرات، أسودها وأبيضها وأحمرها.. إسمه أحمد.. فى كل ليلة ينتظره العمال وفيهم فتى جزائرى يجيد العزف على الماندولين، ويحتضنها فى الغدو والرواح كما تحتضن الأم طفلها الرضيع، فإذا حضر أحمد قال الجزائرى

. هيا.. أنا عشيت

ويتريث أحمد ويتدلل إلى أن يرتوى من النبيذ وجرعات البانجو الذى يدمن عليه عمال المغاربة، ثم ينطلق فى الدور كإنطلاق ملحنه فى ليال الأعراس، بل يضىف عليه من روحه الحزينة ألوانا أخرى، كأنما يلحنه من جديد.

وكلما إنتهى أحمد من جملة وأراد الإنتقال إلى الأخرى صاح عازف المندولين وصاح معه الآخرون:

. لا.. عاود.. زيد.. أنا عشيت.

الفصل السادس

حوادث

وأصله في باريس كناس



«تقديم»

يخصص بيرم التونسي هذا الفصل من الحوادث لذكرياته عن العمل في باريس خلال فترة المنفى فيها.. وقد أرشده أحد أصدقائه إلى مدير في أحد محلات باريس خدم كضابط في تونس عشرين عاماً، وفقد إحدى ساقيه خلال خدمته.. وهو يحن إلى أيام إقامته في تونس، ويعطف على كل تونسي يتقدم إليه.. ونصحه صديقه أن يحييه بلهجة تونسية.. وبالفعل استجاب الرجل وعينه في هذا المتجر الكبير.. ويروي بيرم ذكرياته في هذا المتجر.. والأعمال التي قام بها.. وطبائع العمال والعاملات.. وقد أثرت فيه جداً أول مرة يتقاضى بقشيشاً عن عمله.. وقال: «هذا البقشيش هز نفسي من أعماقها، كنت أحسبني من ذوى العفة والوقار، وإذا بي خادم صغير ولا أدري..!!».

ويروي بيرم التونسي كيف حاول أن يتوسل إلى «رئيس الدولة المصرية» عندما مر في باريس مع وفد كبير في طريقه إلى لندن لمفاوضة الانجليز.. كي يسمح له بالعودة إلى مصر.. فإذا بالرجل يبلغ البوليس عنه ويتسبب في مشاكل عديدة له مع البوليس، وفي العمل.. وكان بيرم التونسي يقصد مصطفى النحاس باشا، وإن لم يذكر اسمه صراحة.. وإن ذكر عبارته الشهيرة بعد فشل مفاوضاته: «خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز»، لنعرف أنه مصطفى النحاس باشا.

ويروي بيرم التونسي قصة حدثت خلال كفاح الشعب المصري في ثورة عام ١٩١٩.. عن استجابة اثنين من الأزهريين لإغراء المكافأة التي أعلن

عنها الإنجليز لمن يرشد عمَّن يقتل جنودهم في الشوارع.. وقبض الإثنان المكافأة.. فعمل أحدهم «كمسارياً» في الترام، ومات بعد أن أضاع المكافأة.. أما الثاني فقد غير جلده تماماً وعمل بالنقد الفني.. وفي الحقيقة كان يعمل في ابتزاز العاملين في الفن، وتأليف الأغاني وكتابة وإخراج الأفلام.. وكون ثروة من سرقة أعمالهم وطبع كتالوجاتهم وبيعها، ولكن بخله كان شديداً.. حتى أنه رفض أن يمشى في جنازة أخيه الفقير حتى لا يساهم في نفقاتها.. وعندما طالبه أبناء شقيقه المتوفى بالإنفاق عليهم، ورفضوا عليه قضية نفقة، رضى أن يقف أمام المحكمة ويقسم كذباً أنه فقير ولا يملك شيئاً.. «وما كاد يتم اليمين حتى سقط في ساحة المحكمة مضروباً بالشلل»..

«حواديت: وأصله في باريس كناس».. بقلم بيرم التونسي.. نشرتها «الجمهورية» في يوم السبت ١٣ يوليو ١٩٥٧، ونتابعها معاً على الصفحات التالية....

بيان هندی وصري اليوم

تعيين ٤٠٠ مدرس في المدارس الابتدائية هذا العام

أخبار عن مصر
 يقع مقر الجبهة المصرية في
 ١٠٠ شارع بورسعيد، القاهرة
 في حي بورسعيد، القاهرة
 في حي بورسعيد، القاهرة

مصدر: نسخة ٣٠٠ قديم
 ١٩٥٧ - ١٩٥٦
 ١٩٥٦ - ١٩٥٥
 ١٩٥٥ - ١٩٥٤
 ١٩٥٤ - ١٩٥٣
 ١٩٥٣ - ١٩٥٢
 ١٩٥٢ - ١٩٥١
 ١٩٥١ - ١٩٥٠

الجمهورية

الجمهورية: شريفة شامحة مصرية
 ١٩٥٥ - ١٩٥٤
 ١٩٥٤ - ١٩٥٣
 ١٩٥٣ - ١٩٥٢
 ١٩٥٢ - ١٩٥١
 ١٩٥١ - ١٩٥٠



AL GOMHOURIA 13 JULY 1957

نهر و يعلن: سياسة جمال عبد الناصر هي سياسة الهند

الأطراف العسكرية تقضي على استقلال الشعوب

بيان مصري
 عن العدوان الإسرائيلي
 السيد الزعيم الناصر هو
 قائد تحرير العرب من
 العدوان الإسرائيلي
 السيد الزعيم الناصر هو
 قائد تحرير العرب من
 العدوان الإسرائيلي

تعيين ٤٠٠ مدرس في المدارس الابتدائية هذا العام

قوت وزارة التربية والتعليم
 ٤٠٠ مدرس
 في المدارس الابتدائية هذا العام

أمريكا تنتظر في قلق
خطاب عبد الناصر في مجلس الأمة
 تعقيب لمدير الاستعلامات
 إذاعت الاسوشيتد برس من واشنطن
 البرقية التالية:
 يتوقع بعض المسؤولين في الولايات المتحدة
 أن يعلن الرئيس جمال عبد الناصر عن اتخاذ
 خطوة جديدة، قد تكون مثيرة في الشرق الأوسط
 .. وذلك في الخطاب الذي يلقيه على الشعب
 المصري في ٢٣ يوليو.

الخطوات الروسية

تعد الخطوات الروسية
 في الشرق الأوسط
 من الخطوات
 التي تهدف
 إلى تحقيق
 أهدافها
 في الشرق الأوسط

القومية العربية بقيادة عبد الناصر هي الخطر الذي يواجه أمريكا

القومية العربية
 بقيادة عبد الناصر
 هي الخطر الذي
 يواجه أمريكا

وزير خارجية لبنان يعلن

وزير خارجية لبنان
 يعلن
 عن العلاقات
 بين مصر ولبنان

اضراب الصحفيين اللبنانيين

يستمر ثلاثة أيام
 إضراب الصحفيين
 اللبنانيين

الأسس المقترحة

الأسس المقترحة
 بين مصر و إنجلترا

أجر يوم لكسدة العالم

أجر يوم لكسدة العالم
 من مؤلفي وعمل إدارة القناة

جولدا مائير تقطع رحلتها فجأة

بعد اغتداء إسرائيل على سوريا
 جولدا مائير تقطع رحلتها فجأة

أسباب الحركم

أسباب الحركم
 في قضية التهريب الدولية

أول سفينة فرسنية

أول سفينة فرسنية
 تحط بضائع مصرية

الجمهورية	١٥ من كل الحصة سنة ١٩٥٦ - ١٩٥٥	١٣	١٩٥٦ - ١٩٥٥	١٢	١٩٥٥ - ١٩٥٤	١١	١٩٥٤ - ١٩٥٣	١٠	١٩٥٣ - ١٩٥٢	٩	١٩٥٢ - ١٩٥١	٨	١٩٥١ - ١٩٥٠	٧	١٩٥٠ - ١٩٤٩	٦	١٩٤٩ - ١٩٤٨	٥	١٩٤٨ - ١٩٤٧	٤	١٩٤٧ - ١٩٤٦	٣	١٩٤٦ - ١٩٤٥	٢	١٩٤٥ - ١٩٤٤	١	١٩٤٤ - ١٩٤٣	٠	١٩٤٣ - ١٩٤٢	٠	١٩٤٢ - ١٩٤١	٠	١٩٤١ - ١٩٤٠	٠	١٩٤٠ - ١٩٣٩	٠	١٩٣٩ - ١٩٣٨	٠	١٩٣٨ - ١٩٣٧	٠	١٩٣٧ - ١٩٣٦	٠	١٩٣٦ - ١٩٣٥	٠	١٩٣٥ - ١٩٣٤	٠	١٩٣٤ - ١٩٣٣	٠	١٩٣٣ - ١٩٣٢	٠	١٩٣٢ - ١٩٣١	٠	١٩٣١ - ١٩٣٠	٠	١٩٣٠ - ١٩٢٩	٠	١٩٢٩ - ١٩٢٨	٠	١٩٢٨ - ١٩٢٧	٠	١٩٢٧ - ١٩٢٦	٠	١٩٢٦ - ١٩٢٥	٠	١٩٢٥ - ١٩٢٤	٠	١٩٢٤ - ١٩٢٣	٠	١٩٢٣ - ١٩٢٢	٠	١٩٢٢ - ١٩٢١	٠	١٩٢١ - ١٩٢٠	٠	١٩٢٠ - ١٩١٩	٠	١٩١٩ - ١٩١٨	٠	١٩١٨ - ١٩١٧	٠	١٩١٧ - ١٩١٦	٠	١٩١٦ - ١٩١٥	٠	١٩١٥ - ١٩١٤	٠	١٩١٤ - ١٩١٣	٠	١٩١٣ - ١٩١٢	٠	١٩١٢ - ١٩١١	٠	١٩١١ - ١٩١٠	٠	١٩١٠ - ١٩٠٩	٠	١٩٠٩ - ١٩٠٨	٠	١٩٠٨ - ١٩٠٧	٠	١٩٠٧ - ١٩٠٦	٠	١٩٠٦ - ١٩٠٥	٠	١٩٠٥ - ١٩٠٤	٠	١٩٠٤ - ١٩٠٣	٠	١٩٠٣ - ١٩٠٢	٠	١٩٠٢ - ١٩٠١	٠	١٩٠١ - ١٩٠٠	٠	١٩٠٠ - ١٨٩٩	٠	١٨٩٩ - ١٨٩٨	٠	١٨٩٨ - ١٨٩٧	٠	١٨٩٧ - ١٨٩٦	٠	١٨٩٦ - ١٨٩٥	٠	١٨٩٥ - ١٨٩٤	٠	١٨٩٤ - ١٨٩٣	٠	١٨٩٣ - ١٨٩٢	٠	١٨٩٢ - ١٨٩١	٠	١٨٩١ - ١٨٩٠	٠	١٨٩٠ - ١٨٨٩	٠	١٨٨٩ - ١٨٨٨	٠	١٨٨٨ - ١٨٨٧	٠	١٨٨٧ - ١٨٨٦	٠	١٨٨٦ - ١٨٨٥	٠	١٨٨٥ - ١٨٨٤	٠	١٨٨٤ - ١٨٨٣	٠	١٨٨٣ - ١٨٨٢	٠	١٨٨٢ - ١٨٨١	٠	١٨٨١ - ١٨٨٠	٠	١٨٨٠ - ١٨٧٩	٠	١٨٧٩ - ١٨٧٨	٠	١٨٧٨ - ١٨٧٧	٠	١٨٧٧ - ١٨٧٦	٠	١٨٧٦ - ١٨٧٥	٠	١٨٧٥ - ١٨٧٤	٠	١٨٧٤ - ١٨٧٣	٠	١٨٧٣ - ١٨٧٢	٠	١٨٧٢ - ١٨٧١	٠	١٨٧١ - ١٨٧٠	٠	١٨٧٠ - ١٨٦٩	٠	١٨٦٩ - ١٨٦٨	٠	١٨٦٨ - ١٨٦٧	٠	١٨٦٧ - ١٨٦٦	٠	١٨٦٦ - ١٨٦٥	٠	١٨٦٥ - ١٨٦٤	٠	١٨٦٤ - ١٨٦٣	٠	١٨٦٣ - ١٨٦٢	٠	١٨٦٢ - ١٨٦١	٠	١٨٦١ - ١٨٦٠	٠	١٨٦٠ - ١٨٥٩	٠	١٨٥٩ - ١٨٥٨	٠	١٨٥٨ - ١٨٥٧	٠	١٨٥٧ - ١٨٥٦	٠	١٨٥٦ - ١٨٥٥	٠	١٨٥٥ - ١٨٥٤	٠	١٨٥٤ - ١٨٥٣	٠	١٨٥٣ - ١٨٥٢	٠	١٨٥٢ - ١٨٥١	٠	١٨٥١ - ١٨٥٠	٠	١٨٥٠ - ١٨٤٩	٠	١٨٤٩ - ١٨٤٨	٠	١٨٤٨ - ١٨٤٧	٠	١٨٤٧ - ١٨٤٦	٠	١٨٤٦ - ١٨٤٥	٠	١٨٤٥ - ١٨٤٤	٠	١٨٤٤ - ١٨٤٣	٠	١٨٤٣ - ١٨٤٢	٠	١٨٤٢ - ١٨٤١	٠	١٨٤١ - ١٨٤٠	٠	١٨٤٠ - ١٨٣٩	٠	١٨٣٩ - ١٨٣٨	٠	١٨٣٨ - ١٨٣٧	٠	١٨٣٧ - ١٨٣٦	٠	١٨٣٦ - ١٨٣٥	٠	١٨٣٥ - ١٨٣٤	٠	١٨٣٤ - ١٨٣٣	٠	١٨٣٣ - ١٨٣٢	٠	١٨٣٢ - ١٨٣١	٠	١٨٣١ - ١٨٣٠	٠	١٨٣٠ - ١٨٢٩	٠	١٨٢٩ - ١٨٢٨	٠	١٨٢٨ - ١٨٢٧	٠	١٨٢٧ - ١٨٢٦	٠	١٨٢٦ - ١٨٢٥	٠	١٨٢٥ - ١٨٢٤	٠	١٨٢٤ - ١٨٢٣	٠	١٨٢٣ - ١٨٢٢	٠	١٨٢٢ - ١٨٢١	٠	١٨٢١ - ١٨٢٠	٠	١٨٢٠ - ١٨١٩	٠	١٨١٩ - ١٨١٨	٠	١٨١٨ - ١٨١٧	٠	١٨١٧ - ١٨١٦	٠	١٨١٦ - ١٨١٥	٠	١٨١٥ - ١٨١٤	٠	١٨١٤ - ١٨١٣	٠	١٨١٣ - ١٨١٢	٠	١٨١٢ - ١٨١١	٠	١٨١١ - ١٨١٠	٠	١٨١٠ - ١٨٠٩	٠	١٨٠٩ - ١٨٠٨	٠	١٨٠٨ - ١٨٠٧	٠	١٨٠٧ - ١٨٠٦	٠	١٨٠٦ - ١٨٠٥	٠	١٨٠٥ - ١٨٠٤	٠	١٨٠٤ - ١٨٠٣	٠	١٨٠٣ - ١٨٠٢	٠	١٨٠٢ - ١٨٠١	٠	١٨٠١ - ١٨٠٠	٠	١٨٠٠ - ١٧٩٩	٠	١٧٩٩ - ١٧٩٨	٠	١٧٩٨ - ١٧٩٧	٠	١٧٩٧ - ١٧٩٦	٠	١٧٩٦ - ١٧٩٥	٠	١٧٩٥ - ١٧٩٤	٠	١٧٩٤ - ١٧٩٣	٠	١٧٩٣ - ١٧٩٢	٠	١٧٩٢ - ١٧٩١	٠	١٧٩١ - ١٧٩٠	٠	١٧٩٠ - ١٧٨٩	٠	١٧٨٩ - ١٧٨٨	٠	١٧٨٨ - ١٧٨٧	٠	١٧٨٧ - ١٧٨٦	٠	١٧٨٦ - ١٧٨٥	٠	١٧٨٥ - ١٧٨٤	٠	١٧٨٤ - ١٧٨٣	٠	١٧٨٣ - ١٧٨٢	٠	١٧٨٢ - ١٧٨١	٠	١٧٨١ - ١٧٨٠	٠	١٧٨٠ - ١٧٧٩	٠	١٧٧٩ - ١٧٧٨	٠	١٧٧٨ - ١٧٧٧	٠	١٧٧٧ - ١٧٧٦	٠	١٧٧٦ - ١٧٧٥	٠	١٧٧٥ - ١٧٧٤	٠	١٧٧٤ - ١٧٧٣	٠	١٧٧٣ - ١٧٧٢	٠	١٧٧٢ - ١٧٧١	٠	١٧٧١ - ١٧٧٠	٠	١٧٧٠ - ١٧٦٩	٠	١٧٦٩ - ١٧٦٨	٠	١٧٦٨ - ١٧٦٧	٠	١٧٦٧ - ١٧٦٦	٠	١٧٦٦ - ١٧٦٥	٠	١٧٦٥ - ١٧٦٤	٠	١٧٦٤ - ١٧٦٣	٠	١٧٦٣ - ١٧٦٢	٠	١٧٦٢ - ١٧٦١	٠	١٧٦١ - ١٧٦٠	٠	١٧٦٠ - ١٧٥٩	٠	١٧٥٩ - ١٧٥٨	٠	١٧٥٨ - ١٧٥٧	٠	١٧٥٧ - ١٧٥٦	٠	١٧٥٦ - ١٧٥٥	٠	١٧٥٥ - ١٧٥٤	٠	١٧٥٤ - ١٧٥٣	٠	١٧٥٣ - ١٧٥٢	٠	١٧٥٢ - ١٧٥١	٠	١٧٥١ - ١٧٥٠	٠	١٧٥٠ - ١٧٤٩	٠	١٧٤٩ - ١٧٤٨	٠	١٧٤٨ - ١٧٤٧	٠	١٧٤٧ - ١٧٤٦	٠	١٧٤٦ - ١٧٤٥	٠	١٧٤٥ - ١٧٤٤	٠	١٧٤٤ - ١٧٤٣	٠	١٧٤٣ - ١٧٤٢	٠	١٧٤٢ - ١٧٤١	٠	١٧٤١ - ١٧٤٠	٠	١٧٤٠ - ١٧٣٩	٠	١٧٣٩ - ١٧٣٨	٠	١٧٣٨ - ١٧٣٧	٠	١٧٣٧ - ١٧٣٦	٠	١٧٣٦ - ١٧٣٥	٠	١٧٣٥ - ١٧٣٤	٠	١٧٣٤ - ١٧٣٣	٠	١٧٣٣ - ١٧٣٢	٠	١٧٣٢ - ١٧٣١	٠	١٧٣١ - ١٧٣٠	٠	١٧٣٠ - ١٧٢٩	٠	١٧٢٩ - ١٧٢٨	٠	١٧٢٨ - ١٧٢٧	٠	١٧٢٧ - ١٧٢٦	٠	١٧٢٦ - ١٧٢٥	٠	١٧٢٥ - ١٧٢٤	٠	١٧٢٤ - ١٧٢٣	٠	١٧٢٣ - ١٧٢٢	٠	١٧٢٢ - ١٧٢١	٠	١٧٢١ - ١٧٢٠	٠	١٧٢٠ - ١٧١٩	٠	١٧١٩ - ١٧١٨	٠	١٧١٨ - ١٧١٧	٠	١٧١٧ - ١٧١٦	٠	١٧١٦ - ١٧١٥	٠	١٧١٥ - ١٧١٤	٠	١٧١٤ - ١٧١٣	٠	١٧١٣ - ١٧١٢	٠	١٧١٢ - ١٧١١	٠	١٧١١ - ١٧١٠	٠	١٧١٠ - ١٧٠٩	٠	١٧٠٩ - ١٧٠٨	٠	١٧٠٨ - ١٧٠٧	٠	١٧٠٧ - ١٧٠٦	٠	١٧٠٦ - ١٧٠٥	٠	١٧٠٥ - ١٧٠٤	٠	١٧٠٤ - ١٧٠٣	٠	١٧٠٣ - ١٧٠٢	٠	١٧٠٢ - ١٧٠١	٠	١٧٠١ - ١٧٠٠	٠	١٧٠٠ - ١٦٩٩	٠	١٦٩٩ - ١٦٩٨	٠	١٦٩٨ - ١٦٩٧	٠	١٦٩٧ - ١٦٩٦	٠	١٦٩٦ - ١٦٩٥	٠	١٦٩٥ - ١٦٩٤	٠	١٦٩٤ - ١٦٩٣	٠	١٦٩٣ - ١٦٩٢	٠	١٦٩٢ - ١٦٩١	٠	١٦٩١ - ١٦٩٠	٠	١٦٩٠ - ١٦٨٩	٠	١٦٨٩ - ١٦٨٨	٠	١٦٨٨ - ١٦٨٧	٠	١٦٨٧ - ١٦٨٦	٠	١٦٨٦ - ١٦٨٥	٠	١٦٨٥ - ١٦٨٤	٠	١٦٨٤ - ١٦٨٣	٠	١٦٨٣ - ١٦٨٢	٠	١٦٨٢ - ١٦٨١	٠	١٦٨١ - ١٦٨٠	٠	١٦٨٠ - ١٦٧٩	٠	١٦٧٩ - ١٦٧٨	٠	١٦٧٨ - ١٦٧٧	٠	١٦٧٧ - ١٦٧٦	٠	١٦٧٦ - ١٦٧٥	٠	١٦٧٥ - ١٦٧٤	٠	١٦٧٤ - ١٦٧٣	٠	١٦٧٣ - ١٦٧٢	٠	١٦٧٢ - ١٦٧١	٠	١٦٧١ - ١٦٧٠	٠	١٦٧٠ - ١٦٦٩	٠	١٦٦٩ - ١٦٦٨	٠	١٦٦٨ - ١٦٦٧	٠	١٦٦٧ - ١٦٦٦	٠	١٦٦٦ - ١٦٦٥	٠	١٦٦٥ - ١٦٦٤	٠	١٦٦٤ - ١٦٦٣	٠	١٦٦٣ - ١٦٦٢	٠	١٦٦٢ - ١٦٦١	٠	١٦٦١ - ١٦٦٠	٠	١٦٦٠ - ١٦٥٩	٠	١٦٥٩ - ١٦٥٨	٠	١٦٥٨ - ١٦٥٧	٠	١٦٥٧ - ١٦٥٦	٠	١٦٥٦ - ١٦٥٥	٠	١٦٥٥ - ١٦٥٤	٠	١٦٥٤ - ١٦٥٣	٠	١٦٥٣ - ١٦٥٢	٠	١٦٥٢ - ١٦٥١	٠	١٦٥١ - ١٦٥٠	٠	١٦٥٠ - ١٦٤٩	٠	١٦٤٩ - ١٦٤٨	٠	١٦٤٨ - ١٦٤٧	٠	١٦٤٧ - ١٦٤٦	٠	١٦٤٦ - ١٦٤٥	٠	١٦٤٥ - ١٦٤٤	٠	١٦٤٤ - ١٦٤٣	٠	١٦٤٣ - ١٦٤٢	٠	١٦٤٢ - ١٦٤١	٠	١٦٤١ - ١٦٤٠	٠	١٦٤٠ - ١٦
-----------	--------------------------------	----	-------------	----	-------------	----	-------------	----	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-------------	---	-----------

حوادث وأصده في باريس الناس

بقلم: بيرم التونسي:

هذه شطرة من مـوال
وصفني به زجال على
صفحات جريدة
«البعكوكة»، وكان يقصد
التحقير والتشنيع، ولم
يعرف أنه كان يقرر حقيقة
واقعة.



بيرم التونسي

أو. ترواه. كارتية

فى فترة الغداء وفى مسبك الصلب أخذت أنا وأحد العمال المغاربة نتحدث عما سنلاقيه بعد ساعتين من الأهوال إذا كانت بوتقة الصلب ستوقد فى هذا المساء.. وسنقف أمامها بجرادل نتلقى الجحيم المصهور.

قال صاحبى: إسمع.. مدير المستخدمين فى محل «أوترواه كارتية» كان ضابطاً أقام فى تونس عشرين عاماً ويعرف العربية جيداً.. ويعطف على كل تونسى يتقدم إليه. فإذا دخلت عليه فحييه بالعربية، وبهذا النص:

«مسيكم بالخير سيدى».. أسرع بمقابلته فى هذا المساء.

وإسم المحل بالعربية «إلى الأحياء الثلاثة»، لأنه يتوسط بين أفخم أحياء باريس: حى المادلين ويواجه كنيسة التى تعد من أقدم الكنائس فى العالم وحى الأتوال ذو الفنادق الرائعة ودور السفارات، ومنها سفارة مصر، وحى الكونكورديا وتقوم فى ميدانه المسله المصرية التى سرقها نابليون جزاه الله خيراً عن هذه السرقة.. لقد أقامها شاهقة فى الهواء تتكلم عن مجد شامخ وتفتأ عين كل جحود مكابر.

دخلت على الضابط الوقور وكان يمشى فى مكتبه على ساق صناعية بدلا من التى فقدتها فى الحرب الأولى، وسمع التحية العربية فجلس وتناول القلم وكتب كلمات على ورقة وقال: ستكون فى فرقة الخدم،

مرتبك سبعمائة فرنك فى الشهر، الغداء عندنا. قابل المسيو بوشيه
غداً فى الساعة السادسة صباحاً بهذه البطاقة.

وخرجت من عنده ووقفت فى الشارع أتأمل المتجر الكبير، سبعة
أدوار وثمانية عشر فترينة على واجهتين، كل فترينة عرضوا فيها نوعاً
من البضائع عرضاً جميلاً، «الملابس، الأقمشة، الأحذية، الموبيليات،
أدوات الزينة والعطور، أدوات المطبخ»..

وإقتحمت المحل مع الداخلين وطففت مع الطائفين، ها هم الباعة
والبائعات من أصحاب الوجوه المبتسمة الوضيئة، والشمائل الرشيقة
يستقبلون الناس بلباقة وأدب.

ورأيت زملائى من الخدم فى ملابس نظيفة يروحون ويفدون بالسلع
المطلوبة لأقسام المعروضات أو بسلال الأوراق المتناثرة تحت أقدام
البائعات.

فى الصباح سأكون واحداً من هؤلاء ولعنة الله على مسابك الحديد
ومصانع البيرة وملاحات الأزل.

منشة ريش

سلمنى الخياط بدلتى بعد أن قاس طولى وعرضى وكان فى انتظارى
رئيس الفرقة، وهو شاب قصير تتميز ملابسه بشريطين من القصب
على أكمامه، ويدعى البريجادير.

فأعطانى رئيسى منشة من الريش الناعم وقال: إتبعنى..

وصعدنا فى المصعد إلى الدور الخامس حيث توجد مركبات الأطفال

الفخمة وأباجورات المصاييح، وما إلى ذلك من المصنوعات الدقيقة.
سحب البريجادير إحدى هذه المركبات ومر بالفرشة على مكانها
فوق الأرض الباركيه ثم أعادها وقال: هكذا تفعل إلى آخر هذا الصف
وهذا كل عملك اليوم وإلى اللقاء فى المطعم فى الدور السادس.
وبمثل هذه الأشغال الخفيفة الظريفة يستقبلون كل عامل جديد
لينشرح صدره ولا تتفر نفسه، ثم يتدرجون به إلى الأصعب فالأصعب.
ولك أن تسمى هذا حكمة إدارية أو سياسة نفسانية يفغل عنها
الكثيرون من أصحاب الأعمال.

فى هذا المتجر ١٢٠٠ موظف أكثرهم من الجنس اللطيف، وها نحن
فى المطعم الذى لا تقل مساحته عن أى صالة سينما وأمامى صفوف
من بنات فرنسا الكادحات، وكلهن من عاملات المخازن والخياطات
والكناسات وملمعات الزجاج والنحاس.. وكلهن أليفات لطيفات.
فوقنا مطعم آخر للمديرين وكتاب الإدارة والبائعات الفاتنات..

طافت الطباخات علينا بشرائح ضخمة من البفتيك البقرى، القطعة
منها تغطى الطبق. ونظرت جارتى إلى قطعتها بشيء من التقزز،
ورفعتها بين الشوكة والسكين وقالت لى: تسمح؟ وقبل أن أجيب عليها
وضعتها فى طبقى فوق أختها، ورأتنى أخرى فرحا، أبتسم، فوضعت
قطعتها فوق الإثنتين، مجموع هذا لا يقل عن كيلو من اللحم الأحمر مع
زجاجة من النبيذ، وزجاجة أخرى قدمها لى كهل من زملائى لأن
الأطباء منعه عن شرب النبيذ.

ومرت الطباخات بأطباق ضخمة من المكرونة مصنوعة باللبن

والبيض «لوى» ومنها يأخذ الأكل ما يشاء بلا تحديد..
ثم أطباق أخرى من الجزر الأصفر تليها أطباق من الجبن والفاكهة،
وهكذا يرتفع مستوى المعيشة الذى يتحدثون عنه فى الصحف.
غادرت المحل فى الساعة الرابعة بعد الظهر وقد علمت أن فرنسا
فى المتاجر غير فرنسا فى الشوارع.

البقشيش

اقترب عيد الميلاد، والمتاجر الكبرى تستقبله بزينات خارجية
وداخلية تبهر الأبصار.
جمعنا الموسيو «بوشيه» الرئيس العام للخدم، وهو رجل عليه وقار
قضاة المحاكم.. وسأل:
من فيكم يعرف «الامبالاج» أى تغليف السلعة بالورق والقش؟.. قلت:
أنا

قال: أين تعلمتها

قلت: فى مصنع موبيليات فى مرسيليا

قال: غدا تبدأ عملك فى الدور الأول

ويعجبك فى العمال الفرنسيين أنهم لا يدعون معرفة ما يجهلون ولو
كان عملا تافها.

يقول العامل: نعم حملت الفحم ولكن لم أتعلم تنظيف الزجاج ولا
مسح البلاط، ولا التغليف.

كان الدور الأول يفص بهدايا وألعاب للأطفال لا تحصى أنواعها ولا

يقف جمالها عند حد، وكلها من صنع مهندسين حاذقين وفلاسفة مفكرين، يحاول كل منهم أن يفرح الطفل ويفيده.

وكانت أغاني ذلك الوقت تدوى فى أرجاء المحل، والبائعات مصفيات إليها فى نشوة وسرور وقد أخذن زينتهن كما ينبغى. ووقفت أمام منضدة عليها لفافات الورق الأحمر من مقاسات مختلفة وبجانبى منضدة أخرى ووقف أمامها عامل أراه لأول مرة، ويظهر أنه من الريف.

وأقبلت بائعة شقراء على خدها خال أسود ووضعت على المائدة مهدا صغيرا تضع فيه الطفلة دميته الصغيرة، وقالت ذات الخال: غلف هذه لهذه السيدة.

ومضت وتركت الزبونة تنتظر المهد، عبارة عن قصعة بيضاوية مبطنة بحرير بنفسجى اللون. مزينة حافاته بالفيونكات الحمراء، معلق وسط هيكل من خشب «اللاكيه» المزين بالصور المضحكة وفى أعلاه بطاقة صغيرة مكتوب عليها الثمن ١٥٠ ف.

تناولت أشرطة الورق والدوبارة بنشاط وسرعة، وكانت نظراتى تتفلت منى إلى السيدة من غير قصد، وترجع كل نظرة بمعنى:

١- سيدة قمحية اللون. أى من جنوب أفرنسا.

٢- قصيرة.. قال الحجاج بن يوسف الثقفى من تزوج بقصيرة ولم يستحسنها فمهرها على.

٣- محياها عار عن الأصباغ والرتوش.. ولماذا ن ظلم الفرنسيات كلهن... ونخلط بين بنات الشوارع والعقيات من بنات الكرام، هذه إحداهن.

٤- تشبه إحدى قريباتي.. فى الإسكندرية.

قدمت لها «الطرد» فديت فى يدي خمسة فرنكات مع كلمة شكر هامة، وهو بقشيش يدفعه الأثرياء فى مطعم الروتوند.

فلما ذهب أبصرت بجانبى الموسيو بوشيه مدير فرقة الخدم يقول برافو.. جئت لأختبر صدق دعواك..

هذا البقشيش، هز نفسى من أعماقها، كنت أحسبني من ذوى العفة والوقار، وإذا بي خادم حقير ولا أدري.

خيل إلى أن هذا البقشيش وقع فى يد العقاد والمازنى وصادق عنبر.

وصممت أن أضعه ثانية فى كف السيدة وأطبق على أناملها، ولكنى خشيت أن تعدها إهانة أحاسب عليها بالطرد.

حدث أن إحدى الأميرات الروسيات التحقت خادما بمطعم فى باريس وظلت عدة شهور تحمل الأطباق وترتب الموائد دون أن يشعر أحد بحقيقة أمرها.

وبصدفة منحوسة عرف المدير من خادمه فطردها فى الحال وقال: نريد خادما لا أميرا.

بالنص

تواردت البائعات على مائدتي معهن الهدايا واللعب مع الزبائن، فأخذت فى العمل، بينما زميلي وجارى واقف مكتوف اليدين.

فلما فرغت قال بصوته الجبلى:

هوه.. إسمع.. البقشيش مناصفة لى.. ولك.
قلت حبا كرامة.. نتحاسب الآن أو آخر اليوم؟!
فقال بعد تفكير.. فليكن آخر اليوم.
ولكن وفود الزبائن كانت تتكاثر كلما طال اليوم وإزدحمت مائدة
زميلى بالعمل. فعاد يقول: إسمع.. ليحتفظ كل منا بما فى جيبه.
قلت: كفى الله المؤمنين القتال

شهبانیا ونساء

مرت أيام العيد بسرعة خاطفة، وكان الإيراد من البقشيش فى
أسبوع أكثر من مرتب الشهر كله.
وعدنا للعمل فى أرجاء المحل. وعملنا يبدأ فى السادسة صباحا
وينتهى فى الثامنة قبل أن تحضر البائعات الغاتتات وقلما تراهن.. أو
ترى الزبائن.

كان العمل لا يخلو أحيانا من مضايقات نفسانية.
فالمسيو بوشيه يصب جام غضبه على رؤوس الفرقة ورؤسائها إذا
رأى لطعة على قضبان النحاس أو ذرة من الغبار على زجاجات
الفتريينات.. وينتهى الأمر بانزال درجة فلان، أو حرمانه من الزيادة
الدورية أو الإستغناء عنه عندما تحين الفرصة.
وبجانب هذا لا يخلو العمل من أمور مسلية.
قال رئيسنا القصير ذو الشريطين، وكان يتكلف الوقار والرزانة..
سننزل فى الدور الثانى تحت الأرض، هناك مخزن مقفل على مهملات

منذ خمسة عشر عاما.

ونزلنا إلى الدور الأول تحت الأرض وهو عامر بالمخزنجيات
والخياطات.. والكاتبات وهذه طوائف أخرى ذات شأن.

ونزلنا إلى الدور الثانى وسرنا على مصابيح خفيفة الضوء إلى أن
وقف الرئيس أمام ركن مظلم وقال: هنا!

وأخذنا نحمل وننقل: إطارات من الكاوتش المتجمد ومراوح كهربائية
صدئت وتحطمت، وكل ما يتصوره العقل من المخلفات التالفة،
وإنكشف كل هذا عن ستة صناديق من الشمبانيا أحدها مفتوح.

فهتفوا جميعا.. أوه شمبانيا شمبانيا من ربع قرن.. يا إلهى.

وأخذ الرئيس إحدى الزجاجات وجعل يتأمل ماركتها ويجس
غطاءها.. وإذا بالآخر يقدم له مطواة ذات بريمة ويقول: إفتح.. إفتح..
وما أسرع ما إستجاب الرئيس وفتح زجاجة وهو يخشى انفجارها
الشديد.. ودارت الزجاجاة على أفواهنا بالعدل القسطاس وقد أوفيناها
حقها من عبارات الإعجاب والثناء.

شمبانيا معتقة، لا توجد فى كل مكان ولا فى كل زمان، ولا عند كل
إنسان.. حتى الملوك.

وقال صاحب المطواة.. إفتح الثانية نحن سبعة أشخاص.

فقال الرئيس بحزم: لا.. يكفى هذا هيا إلى العمل..

وذهب أمامنا فى الممر المستطيل.. ثم رفع رأسه إلى كوة فى السقف
يتساقط منها نور الدور الأعلى.

ثم إلتفت إلينا وإصبعه على فمه.. هس..

على هذه الكوة قضبان متشابكة من الحديد، يظهر منها أجساد كل من يمر فوقها من ساكنات الدور الأعلى.. وأخذوا يتزاحمون رافعين رؤسهم وهم يتهامسون:

- هذه مدام مارتيال لا مدام انتبييرى رئيسة الكناسات.. وها هي مدموازيل سيمون، ما أجمل ساقها.. هس.. لا تصرخ!
مرت على هذه المشاهدات نصف ساعة، وأمرنا الرئيس بالانسحاب إلى الركن.

ثم قال لصاحب البريمة.. إفتح زجاجة شمبانيا.. إفتح!
وانفتحت زجاجة فالثانية فالثالثة وقد حان موعد الغداء.. فأمرنا الرئيس بالصعود ومررنا بساكنات الدور الأعلى ونحن نحيين بأدب واحترام.

وذهب رئيسنا القصير إلى الموسيو بوشيه يقص عليه خبر العثور على الشمبانيا المعتقة.
وكان خيرا إهتز له المدير العام ورؤساء الأقسام فى أوترواه كارتية كآنه اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون.

الكناس

كانت مدام انتبييرى تبلغ الستين. خمراء الوجه، ذات عينين ضيقتين بلا رموش، تحتفظ فى جيبها بعلبة نشوق ضخمة.
وكانت تطلبنى من الرئيس لأقوم فى فرقتها النسائية بالعمل الذى لا يقدر عليه غير الرجال.

كان أفراد فرقتهما يتمازحن بحوار بذيء ويترامين بالنكات المقذعة
وفى كل مرة يصيبني بعض الرذاذ.

صعدنا إلى مستوصف الأطفال فى يوم الأحد وهو تحفة بيضاء تعبر
عن عناية القوم بأطفالهم، أسرة نظيفة، وملاعب محاطة بأسوار
منخفضة، وفتريينات فيها علب اللبن والبسكويت، وصيدلية كاملة،
وقطط وكلاب وأفيال وسيارات.

فى هذا المستوصف تضع الموظفات والعاملات والكناسات أطفالهن
بين أيدي المربيات والمرضات ويتسلمنهم بعد الفراغ من العمل.
وقفت وبجانبي سيدة.. وكلانا يطللى نوافذ المكان وأبوابه الزجاجية
بسفنجة السبداج.

قالت زميلتى لأخرى:

- زوجى نام بالأمس كما ينام الخنزير فأجابتها.

- بجانبك خنزير أحسن منه.

ويستمر الحديث على هذا النمط إلى أن تتهرهما الرئيسة.

الإيتالاجيست

معنى هذا الإسم «المنسق» أو المنضد وهو الذى يتولى عرض البضائع
فى الفتريينات بأوضاع تغرى بالشراء، وهو رجل فنان يتقاضى مرتبا لا
يقل عن مائة جنيه فى الشهر، وعلى مهارته وإبداعه تتوقف حركة
البيع.

ترى الفترينة متبرجة بما فيها من المنسوجات تبرز الأرض بأزهارها

والسماء بشفقها وكواكبها .

الموبيليات، يضع منها قطعة، أو قطعتين تدلان على بقية الطقم، فتبدو الفترينة وكأنها مخدع ينتظر عروسين .

لا كهؤلاء الذين يكذبونها فى متاجرهم كأنها عفش المسافرين أو المهاجرين .

والأحذية يوليها عناية فائقة، فيقف فى الشارع أمام الفترينة ويخاطب مساعديه فى داخلها بالإشارات، ولا يزال يأمر بتقليب الحذاء على عدة أوضاع إلى أن يرضى عنه .

حتى فترينة الجرادل والفرش والمكانس لا تخلو من جمال العرض وحسن التنسيق .

وفى كل أسبوع يبدل الفترينات بأشكال جديدة، كأنه ملحن ينتقل من نغمة إلى نغمة، أو شاعر يخوض فى كل معنى .
كنت أحد المساعدين لهذا الشاب إلى أن إنقطع العيش .

صاحب الدولة

عزفت عن السهر فى مقاهى باريس والتسكع فى شوارعها، وكنت آوى إلى غرفتى فى الثامنة مساءً .. وأنام فى التاسعة لأستيقظ فى الخامسة وأركب أول قطار للمترو .

واقترح باب الغرفة شاب من الطلبة، لأنه الوحيد الذى كان يتفقدنى ويهتم بأمرى، قال - آسف رئيس الدولة المصرية هنا فى باريس مع وفد كبير وسيسافر فى الصباح إلى لندن للمفاوضة مع الإنجليز .

وإستمر فى الكلام وهو يناولنى ملابسى قطعة بعد اخرى..
تجده الآن فى فندق سيلانديد، أقسم لو رجوته أن يعيدك إلى مصر
لفعل.. الرجل وطنى.. وأنت وطنى.. ومنفى.. إسمع الكلام.. ما
تضيعش الفرصة.

بعد نصف ساعة كنت فى فندق سيلانديد أخطب صاحب الدولة
فى جناحة بالتليفون.

قلت بايجاز - ياباشا أنا هنا من عشر سنين بسبب مجلة إسمها
«المسلة» وأطمع فى دولتكم أن توصو القنصلية المصرية بالسماح لى
بالعودة لأولادى.

سكت دولته كأنه لم يسمع وطال سكوته.

فقلت - دولتك سامعنى

فقال بصوت محنق مفتاظ استتى أصمت أما أبعث لك حد..

ونزل الحد وسألنى إيه الحكاية فرويتها له بالتفصيل وأخرج القلم
وقال:

- عنوانك فين؟

- شارع دى كرم رقم ٣

- وعايذ فلوس دلوقت ولا عايذ إيه؟

- عياز أرجع لأطفالى - عايذ فيزة من القنصلية..

هم واقفا وقال - تعالى بكرة الصبح تلاقى كل شىء جاهز.

كدت أقبل حذاءه من الفرع، وخرجت أخبر كل معارفى بالخبر
الसार.

وفى الصباح ذهبت إلى فندق سيلانديد بغير إذن من إدارة الترواكارتييه، وهذا يحتسب عند أصحاب الأعمال مخالفة أو جنحة.. وما كدت أقترب من باب الفندق حتى أحاط بي خمسة من رجال البوليس السرى وسألنى أحدهم.

أنت بيرم.. أين أوراقك الشخصية
قدمت له البطاقة فنظر فيها وأعادها.

وقال:

- لا تدخل هنا الآن وعليك بالحضور إلى دار المحافظة اليوم فى الثالثة بعد الظهر وهاك العنوان.

سلم ج - الدور الثانى - حجرة ٣٦.

وذهبت إلى إخوانى أقص عليهم النبأ المحزن وجعل الصديق الذى دفع بى إلى هذا المأزق.. يحوقل ويتعجب من لؤم البشر وخسة الباشاوات.

وفى هذه الآونة أقبل شاب من طلبة البعثات. وما استقر على كرسيه حتى قال:

- سمعتم جرى إيه فى باريس؟ واحد اسمه بيرم كان رايح يضرب فلان باشا بالرصاص عشان يفركش المفاوضات ولكن الله سلم وقبض عليه البوليس.

وضحك أحد المجالسين وقال:

- بيرم أهو.. قاعد

فخجل الطالب وأقسم أنه جاء الآن من السفارة المصرية ووجد

الباشا هائجاً مائجاً يتساءل.

- وهيه باريس مافيهاش بوليس: قبضوا على الولد ده ولا لسه.

حانسافر ولا مش حانسافر؟

وسافر الباشا إلى لندن فى أمان ومعه أربعون من وكلاء الشعب

للمفاوضة فى القضية المصرية.

فى اليوم الثانى قلت للرئيس الذى سألنى عن غيابى - أصبت بنوبة

مفص حاد..

ومعنى المفص أننى جلست أمام المحقق فى دار المحافظة نحو أربع

ساعات أملى عليه كل خطوة خطوتها فى فرنسا منذ عشر سنوات إلى

ساعة التحقيق.

كان لى صديق من فرقة الخدم يؤنسنى حديثه وصدق لهجته.

- لست من أبناء باريس.. أنا فلاح مولود فى قرية بانبول.. كنت

أرعى الأغنام وأنا طفل.. وكنت أمشى حافى القدمين فى الحر

والبرد..

إسمع لا تغرنك أبهة البائعات الفاتتات فى محلنا، كلهن بلا إستثناء

يحترفن صناعة الرصيف بعد فراغهن من صناعة البيع، أتدرى ما هى

صناعة الرصيف؟ ثم لا تعبأ برجال باريس.. أدنياء يريدون منك أن

تدعوهم على الطعام والشراب ثم تشكرهم على إجابة الدعوة.

قطع مرة حديثه الشيق وقال:

- يوجد عندك لفظ فى الإدارة.. بوليس تحقيق.. فوضوى..

شيوعى.. صحفى.. فما هى الحقيقة؟!

قلت - سوف تعرفها ..

وعرفتها بعد أيام حيث قادنى الرئيس القصير ذو الشريطين إلى
مخازن الكناسة وقال:

- توماس فى أجازة وستحل محله إلى أن يعود بعد ١٥ يوما

ولكن توماس لم يعد أبدا

حديث الكنسة

كناستنا لم يكن إلا قصاصات ورق وقماش وقطع دوبارة وأشياء
تعتبر عند البعض من أعز المتاع مثل جوارب السيدات الحريرية التى
اكتشف فيها بعض الثقوب الصغيرة والخيوط المتصلة، أو المصاغات
الصناعية الجميلة إذا انفرد منها عقدة أو سقطت خرزة من قرط أو
حبة ماس من بروش ..

والزميلات الكناسات يردن بسلالهن المفعمة بهذه الخيرات ويفرغنها
على كومة كبيرة وينصرفن بعد تحية عادية أو نكتة ظريفة ..

تقول السيدة التى تشكو من زوجها الذى ينام كالخنزير - عندما
كانت تقلب السلة على الكوم

- خد ميراث حماتك

وتقول بعد سلة أخرى

- صرت أكبر خردجى فى باريس .

وكان من واجبى أن أكبس الأوراق فى ماكينة وأحولها إلى بالات
وكذلك الخرق والدوبارة ثم أتناول الكنسة فأحادثها وتحادثنى .

«ماذا كان على صاحب الدولة لو وعدنى خيرا وهو كاذب كما يعمل البشوات مع المنكوبين وطلاب الحاجات، وهل اعتقد حقا أنى كنت أريد اغتياله أم هو ضرب من التجنى يعلن به عن أهمية شخصه الكريم شأن كل تافه ؟!».

ثم أنا من مجرمى النثر والشعر، ولست من مجرمى الدماء، ولو كنت منهم ما عرضت نفسى للسجن يوما واحدا من أجل هذا الرجل. ها هى الصحف تقول إن وزير خارجية بريطانيا تركه عدة ساعات فى غرفة الإنتظار ثم أرسل إليه من يطلب منه الحضور فى يوم آخر. الرئيس الجليل ❖ عاد إلى مصر بحاشيته الضخمة وأذاع على الشعب هذا البلاغ الموجز البليغ:

- خسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز

هذا هو حديث الكنيسة وقد قطعه المرحوم عزيز عندما كلفنى بكتابة مسرحية ليلة من ألف ليلة كما أشرت فى مرة سابقة.

شاهد الملك

فى عام ١٩١٩ حيث إندلعت نيران الثورة المصرية الأولى، وكان النهار يطلع على جثث الجنود الإنجليز فى الشوارع، والبوليس المصرى يتراخى فى تعقب الجناة خوفا على حياته أو مشاركة للشعب فى شعوره.

❖ يقصد مصطفى النحاس باشا

ولكن القائد العام لجنود الإحتلال نشر فى الصحف الإعلان التالى:
«السلطة العسكرية البريطانية تدفع عشرة آلاف جنيه مكافأة لمن
يدلى بمعلومات تؤدى إلى القبض على من يفتالون جنود صاحب
الجلالة ملك بريطانيا العظمى».

«وإذا كان المرشد أحد الجناة يعتبر شاهد ملك ويحصل على المكافأة
ويفر من العقاب».

سخر الناس من هذا الإعلان وجعلوا شاهد الملك الذين يسمعون به
لأول مرة نكتة الموسم

ولكن عزت عبدالله خطاب ومعه مجاور آخر يدعى عبدالناصر
السماطوى تقدا للسلطات وقال «عند جهينة الخبر اليقين»

لم يكونا من المشتركين فى قتل الإنجليز، ولكنهما كانا يصفيان لما
يلقى فى الأزهر من الخطب ويعرفان إسم هذا وذاك، إذ كان الأزهر
معقلا أميناً للمجاهدين الوطنيين.

وإنعقدت المحكمة الإنجليزية وبفضل شهادة الشيخين المسلمين
أصدرت الأحكام بالإعدام شنقا وبالسجن المؤبد على ثلاثين شاباً من
خيرة الشباب المصرى المثقف.

وخمدت الثورة ثلاثين عاماً كاملاً.

كانت كل أم تقول لولدها ..

- شايف .. خلى المظاهرات تنفعلك ..

عبدالظاهر مات وهو كمسارى ترام بعد أن أضاع المكافأة

وعزت عبدالله خطاب نزع الجبة ولبس البدلة والطربوش، وعاش

بوجه جديد وأدخل بعض الرتوش على إسمه وعاش بإسم جديد وابتكر طريقاً سهلاً للإثراء على حساب الغير

حول رزمة الورق ذات الخمسين قرشاً إلى قصاصات مطبوعة على شكل مجلة ومجموعات أغاني تباع بثلاثة جنيهاً.

كانت ضحيته الأولى مجلة الإذاعة.. ينتظر يوم صدورها وينقلها بحذافيرها.. ثم يحصل على كتالوجات أغاني الأفلام قبل أن تعرض الأفلام ويعيد طبعها ويبيع أغاني كل خمسة أفلام بقرش صاغ.

جمع من هذا الخطف ١٥٠ ألفاً من الجنيهاً، وكان لا ينسى في كل عدد أن يشتم أصحاب الأفلام وشعراء الأغاني بإسم «النقد الفني» حتى لا يطالبه الأولون بتعويضهم عن خسائرهم في الكتالوجات المطبوعة على الروتوغرافور، ولا يطالبه الآخرون بأرزاقهم التي سبقهم إلى إتهامها - وهكذا عرف الفتى الحرب الوقائية قبل أن يعرفها مجرمو الحروب.

رفعت عليه قضية أنا وثلاثة من شعراء الأغاني، فما كاد يتسلم الإنذار حتى فصل في القضية بقلمه قبل أن يفصل فيها القضاء.

تعقبنا بحملة شعواء، من الشتائم البذيئة واشتد على شركات السينما والمخرجين الذين عهدوا إلينا بالعمل، وفازت أم كلثوم وفيلمها سلامة بنصيب الأسد من هذه الشتائم.

لم يطق زملائي الثلاثة هذه الحملات، فتنازلوا له عن القضية، وصمدت وحدي أتلقى الإساءة في كل أسبوع من شعراء الأغاني المأجورين والمتطوعين.

ربحت القضية فى الابتدائى وخسرتها فى الاستئناف بفضل شهادة
عشرة رجال من الصحفيين.
واستغرق نظر القضية من الزمن اثنى عشر عاما. ولازلت أنتظر
النقض والإبرام.

لمقت الله أكبر

كان للثرى الخائن أخ فقير يتشاءم من رؤيته ويرصد فى وجهه
الأبواب لإعتقاده أنه ينتظر موته ليورثه.. إذ لم يرزق بالذرية.
مات شقيقه فأبى أن يشيع جنازته حتى لا يتجشم المساهمة فى
نفقة الجنازة.

رفع عليه أبناء شقيقه قضية نفقة، فوقف أمام المحكمة يقسم يمينا
غموسا بالله العظيم أنه فقير ولا يملك شروى نقير، وما كاد يتم اليمين
حتى سقط فى ساحة المحكمة مضروبا بشلل نصفى.

«بيرم التونسى»

● نشرت فى «الجمهورية» فى يوم السبت ١٢ يوليو ١٩٥٧

«خاتمة»

هكذا عشنا مع حياة قمة من القمم المصرية
الخالدة.. شاعرنا الشعبي العظيم بيرم
التونسي.. الذى عاش ثلث حياته مشردا منفيا
بسبب كفاحه ونضاله من أجل وطنه مصر..
والذى سجل التاريخ له مقاومة باسلة للاحتلال
البريطانى وللقصر الملكى والسلطة الفاشمة،
فعاش مطاردا من هؤلاء جميعا.. ولكنه عاش
أيضا على ألسنة شعبه وفى قلوب أبنائه..
نموذجا فريدا للمقاومة التى لا تهدأ.. وللکفاح
المتواصل.. والصمود الصلب.

وكما عاش بيرم فى قلوب أبناء وطنه.. فإن وطنه
عاش فى قلبه.. ولم يتخل هو أبدا عنه.. حتى
فى أشد أوقات المحنة.. فكانت بكائياته من أجل
وطنه.. ومن أجل أبناء وطنه.. وقودا يشعل النار
فى الطفأة والغاصبين والمتخاذلين.

رحم الله بيرم التونسى

ونلتقى بإذن الله

وعلى الله قصد السبيل

صالح عطية

salahattia@hotmail.com

الفهرس

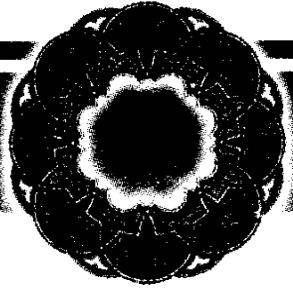
٥ مقدمة
	الفصل الأول:
٦٣ خير وشر : جلى.. جلى
	الفصل الثانى:
٧٩ حواديت: حفلة ختان فى باريس
	الفصل الثالث:
٩٧ حواديت: ريفية فى باريس
	الفصل الرابع:
١٢١ حواديت: قدور بن غبريت وحكايات أخرى
	الفصل الخامس:
١٤١ حواديت: النصب فى باريس
	الفصل السادس:
١٦٥ حواديت : وأصله فى باريس كناس
١٩٣ خاتمه
١٩٦ الرعاة

**** معرفتي ****

www.ibtesama.com

منتديات مجلة الإبتسامة

طبع بمطابع دار الجمهورية



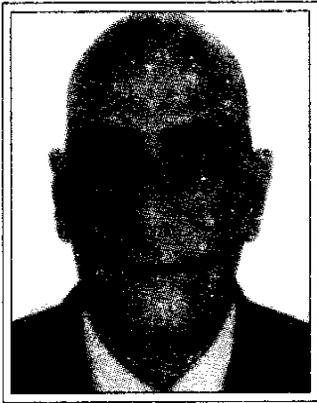
هذه السلسلة تصدر تحت رعاية



الهيئة المصرية العامة للتنشيط السياحي
ورعاية كريمة من أساتذته



د. نور الدين بكر
رئيس مجلس إدارة
مصر للسياحة



أمجد حسون
رئيس مجلس إدارة
مجموعة فلاش تور



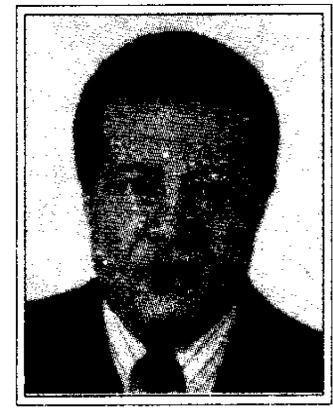
المحمدي حويدق
رئيس مجلس إدارة
الجفتون للمشروعات السياحية



محمد الحسينين
رئيس مجلس إدارة
جلاكسيا للسياحة



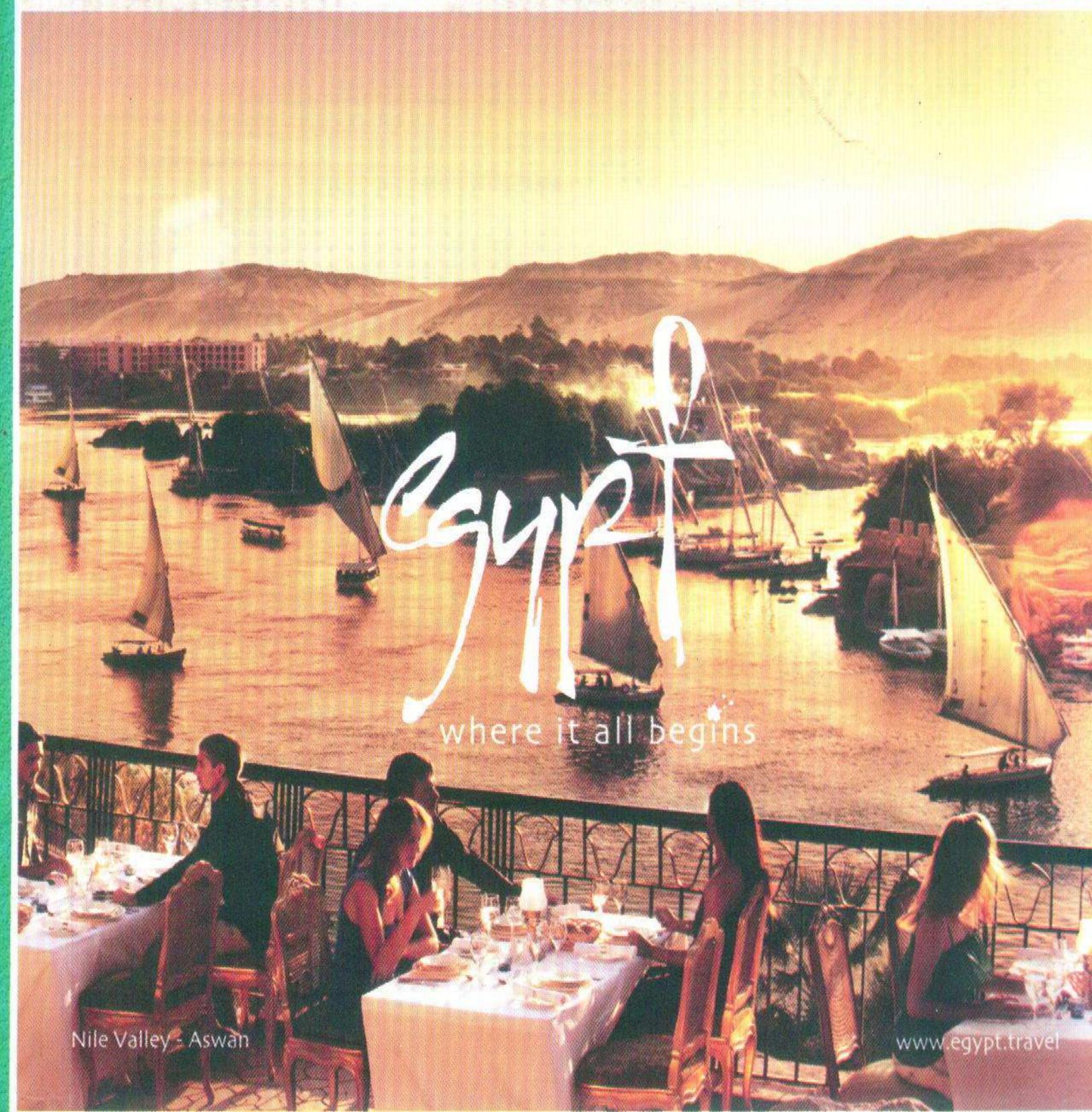
سامح حويدق
رئيس مجلس إدارة الياسمين بيتش
للمشروعات السياحية



عاطف عبد اللطيف
رئيس مجلس إدارة
مجموعة ترفلرز



"the river fed my soul..."



Egypt

where it all begins

بصريات



www.ibtesama.com